20 me. année No 980

Le Caire 14 - 4 - 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ١٣٧١ — ١٤ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الـكتلة الإسلامية

كتب إلى كثير من قراء الرسالة يسألونى عن رأيى فى الـكتلة الإسلامية التى تدعو إليها باكستان و (الإخوان)، ويستوحش من ناحيتها لبنان و (الشبان)، فلم أجد جوابا عما يسألون خيرا من كلمة كتبتها منذ خمس سنين فى الرسالة جاء فيها:

إن الجامعة الإسلامية هى الغاية المحتومة التى ستتوافى عندها الأمم الإسلامية فى يوم قريب أو بعيد. ذلك لأنها النظام السياسى الذى وضعه الله بقوله: «إنما المؤمنون إخوة»؛ ثم شرع له الحج مؤتمرا سنويا ليقوى، وجعل له الخلافة رباطا أبديا ليبقى. وهذا النظام الإلهى أجدر النظم بكرامة الإنسان؛ لأنه يقوم على الإخاء فى الروح، والمساواة فى الحق، والتعاون على الخير، فلا يفرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين طبقة وطبقة

وظلت الجامعة الإسلامية فى ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج قوية شاملة حتى خلافة المتوكل. ثم وهى السمط فانفرط العقد؛ واضطرب اللسان فتفرقت الـكلمة. فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يبرموا الخيط، ولـكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب. فبقى المسلمون عباديد لا يجمعهم نظام ولا تؤلف بينهم وحدة. ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين فى أواخر القرن التاسع عشر فتعاوت على جسدها المنحل ذئاب الغرب، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذيادا عن ملكه فهروا هرير الـكلاب المذعورة. وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هى التعصب وسفك الدماء، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع. وكان الاستعمار قد توقح وفجر، فنشأت العصبية الوطنية فى الأقطار الإسلامية لدرء خطره أو تخفيف ضرره. والوطنية لا تعارض الجامعة، ولـكنها تفارقها فى الطريق لتلاقيها عند الغاية.

إن أوربا التى مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية، لأنها وحدها تملك غرس الوئام فى النفوس وإقرار السلام فى العالم. إنها تقوم على الإيمان المحض، وتنزل فى خير مكان من الأرض، وتشمل مئات الملايين من الناس، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع، وتشرق أعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ. فمن المحال أن تظل نهبا مقسما بين فرنسا الحمقاء، وإنجلترة المتعافلة، وهولندة الأنثى!

أما الشبهات التى تطير هنا وهناك حول الـكتلة الإسلامية فقد طار أمثالها من قبل حول جامعة الدول العربية لأن (إيدن) أوحى بها، وحول الدولة الباكستانية لأن (مونتباتن) سعى لها؛ ثم جلا الزمن الشكوك، ومحص الوعى الحقائق، فذهب إيدن وبقيت جامعة العرب، واختفى مونتباتن وسطعت دولة الإسلام

احمد حسن الزيات

كلمـــات

للاستاذ على الطنطاوى

١ — طفلان

حدثنى صديق لى أديب قال :

رأيت البارحة موهناً (١) وراء ديوان المحاسبات وقهوة الشارع وهاتيك القصور الشم والمنازل العوالى — رأيت مشهداً أقر بأنى عاجز عن وصفه لكم ، فإن كان باقياً لا يزال ، وكانت رحمة الإنسان باقية — لا تزال — فيكم ، فاذهبوا انظروه بعيونكم . اذهبوا ، وخذوا معكم قلوبكم فإنكم ستحتاجون إليها ، واحملوا دموعكم لتريقوها أمام هـــذا المشهد الذى يرقق قلب الصخر ، ويفجر بالدمع عيون الجلمود ، ويملأ بالشفقة والحنان أقسى القلوب : قلوب الشياطين والجلادين والمحتكرين

مشهد طفلين أحـدهما فى نحو التاسعة والآخر فى الرابعة ، ما عليهما إلا خرق ومزق وأسمال ، نائمين على الأرض عند باب القهوة ، متداخلين متعانقين ، قد التصق الصغير بأخيه ، وأوى برأسه على صدره العارى من اللحم ، يحتمى به من البرد والخوف ، وقسوة الحياة ، وظلم الناس ، ولفه الآخر بذراعه يريد أن يدفع عنه بهـذه الذراع الهزيلة ، شر هـذا البشر ، ويكون له أماً ، ويكون له أباً . . وكان وجه الصغير واضحاً فى شعاع القمر الشاحب ، فيـه الطهر ، وفيه الألم ، وعلى شفتيه المزمومتين بقايا كلام حسبتها من بعيد بقايا لعنة حامية رمى بها هذا المجتمع ، فلما دنوت لم أجد إلا آثار شكاة خافتة مبهمة ، رفعها هذا الفم الصغير الذى ما تعلم البيان ، إلى الله المنتقم الجبار !

طفـلان ينـامان فى الطريق ، ما تحتهمـا إلا الأرض العارية ، وما فوقهما إلا السماء العالية ، والناس الخارجون من القهوة بعد السهرة الممتعة ، والعائدون من الوليمة بعد الأكلة المتخمة ، والرائحون إلى بيوتهم من التجار ، بعد خلوة طويلة أعـدوا فيها العدة لجناية جديدة قذرة على هذا الشعب المسكين ، والغادون إلى النوادى والملاهى ليبدأوا سهرة أخرى ، يصبون فيها مالهم على الموائد الخضر ، ويذوبون صحتهم فى كؤوس الخمر ، ويضيعون دينهم فى تلك الليالى الحمر ، فى الفسق والعهر ، كل أولئك كانوا يمرون بالطفلين ولكن لا يلتفتون إليهما ، ولا يحفلون بهما ، وهل يحفل أحد بالكلاب النائمة فى الطريق ؟

من أين جاء هذان الطفلان ؟ أين أبوهما ؟ أين أمهما ؟ كيف يعيشان ؟ هل ابتسم لهما الحظ فوجدا (تنكة زبالة) لأحد الأكابر لينبشاها ، فيستخرجا منها عشاءهما أم باتا على الطوى ؟

لم يسأل أحد ولم يعلم أحد ؟

ولا أنا ... وهل أنا إلا واحد من (هؤلاء) الناس ؟!

قال الراوى :

وأسرعت إلى أولادى ، أحمل إليهم الحلويات الغالية ، أعدها لهم بجنب السرير ، حتى إذا أصبحوا وجدوها ، وأغطيهم كيلا تصيبهم نفحة هواء فى هذه الليلة العاصفة ، حتى إذا أمنت عليهم وأرحت ضميرى . . قعدت أكتب مقالة فى محاربة الشيوعية ، ومكافحة الإجرام ، وتمجيد النظام الديمقراطى الذى يملأ الأرض حرية ومساواة وعدلا وأمنا

***

وخلا شارع بغداد إلا من الرياح العاتية ، والكلاب الشاردة ، وهذين الطفلين اللذين ينامان على الأرض بلا وطاء ولا غطاء ؛ ليس معهما إلا أشباح الظلام ، وتهاويل الرعب ، وآلام الجوع والبرد والحرمان !

٢ — عواقب اللذات :

كنت أطالع إضبارة فى محكمة الجنايات فوجدت صفحات فى الفسوق تثير الشيخ ، وتصبى الحليم ، وتشعل النار فى أعصاب الشاب القوى ، حتى ما أظن أن فى الدنيا قصة من قصص الأدب المكشوف ، تفعل فى إثارة الشهوة فعلها فتركت الإضبارة ، وفكرت ...

وقلت ...

— هل تريد يا على الطنطاوى أن تكون مكان هذا الرجل

(١) الوهن والموهن نصف الليل

تميش هذا العيش اللذ بين الغيد الأوانس ، والعذارى الفاتنات ؟ قل ، وخل عنك هذا « الكذب الاجتماعى » الذى تمارسه الناس

فسكت على الطنطاوى ، وتكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تكون مكانه فى السجن ؟

— قالت : لا   قلت : ولمَ ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت ، وبقى عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان إلى لذة محرمة فتميل إليها ، وتقول لنفسك إنها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضيات ، ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل إلى خير فتتكاسل عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك إنها ستذهب هذه المشقة ويبقى الثواب ؟

فكر فيما عملت من حسنات وخير ؛ بذلت فيها من جهدك ومالك ، وخالفت فيها هواك ، ماذا بقى من الصعوبة التى وجدتها عند الحسنات ؟ وماذا بقى من اللذة التى أصبتها عند المعاصى ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة وبقى ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقى عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان إن كان قد جد وجد النجاح ونسى تعب المطالعة ونصب السهر ، وإن كان قد لها ولعب فقد متعة اللهو وأنس اللعب ؛ ولقى (السقوط) .

فقس الآتى على الماضى ، ولاتبع آجلا خالداً بعاجل فان ، ولا تغتر بحلاوة العسل إن كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء إن كان فيه الشفاء ..

وتصور أنك على فراش الموت ، وقد باد الأمل وجاء الأجل .. ما الذى تحسه فى تلك الساعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذى بقى لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقى لك شىء منها ؟ هيهات ! لقد نسى الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ؛ وضاع المال فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت ، والصحف وقد نشرت ، والحساب وقد أعلن ؛ وكل ذرة من خير قد قدمت لك ؛ وكل ذرة من شر قد سجلت عليك ؛ أحصاه الله ونسيته ، وعده وأغفلته ، أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذاذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟ ما الذى استفدته منها ؟ ما أفدت إلا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟ ما استبقيت إلا الألم !

°

فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد إلى عملك ، وكل مساء وأنت مضطجع لمنامك ، وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...

جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تكون بعدها .

٣ — المعلم الأديب

فتحت اليوم درجا لى فيه أوراق لم أفتحه من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة كنت شرعت فيها ونفسى مترعة عاطفة ، وقلبى متفتح للالهام ، ثم قطعتنى عنها شواغل التعليم (وقد كنت يومئذ معلماً) وصرفتها من ذهنى ، حتى أنى لأجدها الآن غريبة عنى ، كأنها لم تكن لى ، ولم أكن كاتبها . . فجعلت أتلوها وجعلت صور أيامى الماضية تمر أمام عينى .. فأرى تلك الأيام التى أضعتها فى التعليم ، وتلك الأفكار والصور التى خسرتها ونكبت بها . . وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ؛ وأضاع ذكاءه ؛ وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منكراً ؛ وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ؛ ويخلد ميتا بآثاره

إن المنكوب هو المعلم الأديب ؛ الذى وهب له الأدب ؛ وكتب عليه التعليم : إنه يسكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ؛ الليالى الطوال التى أحياها ساهراً ، عاكفاً على كتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدى طلاب لا يكاد أكثرهم يحفظ لمعلم عهدا ، ولا يذكر له ودا ؛ يصبح المعلم الأديب وفى نفسه موضوع المقالة ، وفيها صورها وأفكارها ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها ، إنه مشغول عنها بتصحيح وظائف التلاميذ ؛ هذه الوظائف التى تحرمه لذة المنام ، وأنس السمر ، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم إذا انتهى منها

وحلها إلى التلاميذ مصححة لم يتنازل أحدهم إلى النظر فيها، وإنما يلقونها في أدراجهم لينظر فيها الشيطان، ثم يأتي الآذن فيجمعها ليوقد بها النار..

ويعد الدرس وينفق في إعداده من الجهد مالا يعلمه إلا الله، والمخلصون من المعلمين، ويلقيه مندفعاً متحمساً. فلا يروعه (إن كان في الابتدائي) إلا تلميذ يخز رفيقه بمرفقه ليريه كيف اصطاد ذبابة.. أو ليحدثه (إن كان في الثانوي) حديث رواية في سينما، أو مباراة على ملعب، أو تلميذ يقرأ قصة سخيفة من قصص الجيب، أو يصور على الورقة ثوراً له قرنان، أو يرسم الأستاذ المحترم.. وإن كان (في الجامعة) رأى أمامه فلماً من أفلام الحب ناطقاً بلغة العيون..

ثم يكبر الطلاب، فينكرون المعلم وينسونه، وربما احتاج إلى أحدهم فأراه صنوف الحرمان، وربما صار أحدهم رئيسه فأذاقه ألوان الردى... مسكين والله المعلم!

٤ — أجير الخباز

هذه صورة وصفية صادقة لحادث حدث من يومين، وكان النهار مصحياً دافئاً، وآلاف الشباب يتبخترون على طرفي شارع فؤاد، مرجلة شعورهم، مصقولة وجوههم، محبوكة ثيابهم، يختالون زهواً وإعجاباً، كسرب من الطواويس، أو كجماعة من ديكة الحبشة، منفوشاً ريشها، ومئات البنات، من كل جميلة صنعتها يد الله، وذات جمال من عمل الحلاق والخياط، وبائع الأصبغ وصانع العطور، يخطرن، ينثرن حولهن الفتنة، وينشرن الإغراء

وشمس الأصيل تطل من خلال منافذ الشارع الغربية، كما يطل الأمل من فرج اليأس؛ فتنقل هؤلاء الناس من أرض الحقيقة إلى سماء الأحلام، فيذهبون جميعاً إلى أعماق حلم ذهبي، تضيع فيه هذه الرؤوس المتعانقة، التي غرقت في نشوة الحب، وغابت في هذا الهمس الناعم، الذي تنسى معه الدنيا وما فيها، وهذه الرؤوس المفردة التي تتملل بذكريات لذة ماضية، وخيالات لذة لم تأت، وتغوص في رؤى شيطانية فاجرة من عمل الحرمان

ورأيت في وسط هذا العالم البهيج، السابح في غمرة النعيم، صورة من صور البؤس، ومظهراً من مظاهر هذا الظلم الاجتماعي.. رأيت صبياً لا أظنه قد أكمل العاشرة، شاحب الوجنات من الهزال، بادي العظام، يمشي حافياً، بخطى واهنة متقاربة على ساقين كأنهما قصبتان من القنب، يلبس معطفاً واسعاً ممزق الظهر يتعثر فيه تعثراً، فوق قميص رقيق مخرق، يحمل على عنق دقيق مثل عنق الدجاجة (فرشاً) كبيراً عليه ركام من الخبز، يكاد الغلام ينسحق تحته

وكان هؤلاء المنعمون الذين أثقلتهم التخمة. وأبطرهم الترف، يتحامونه ويبتعدون عنه، ويضمون أثيابهم أن تلامس ثيابه، كأنما هو مجذوم أو مجرم، أو كأنه وحش كاسر.. ولم يلتفت إليه واحد منهم. ولم يرحم هذه الطفولة المعذبة، ولم يقع عليه نظر، وإنما كانت الأنظار كلها منصبة على تلك العيون، التي يتدفق منها الفتون، وتلك القدود، التي تميس برقة، وتخطر بدلال...

وكانت السيارات تتسابق تحمل المدللين من أبناء الأمة: الوظفين الكبار الذين تهبط عليهم الخيرات بلا حساب، والمجدودين من الوارثين وأغنياء الحرب واللصوص المختبئين في ثياب الأشراف

... ومرت سيارة أنيقة فخمة من سيارات الدولة فيها سيدة ملفوفة بالفرو، تكاد تنفزر [1] مما نفخها البطر، وولد واقف على شباك السيارة، قد مد رأسه ينظر ويتلهى، وكأنه يسخر من هذا الشعب الذي دفع ثمن السيارة من عرق عامله، ودم فقيره، ليركب فيها هو وأمه، إلى الاستقبالات، والمخازن والسينمات

ووقفت السيارة فجأة إلى جنب الغلام الذي يحمل (الفرش) ودفعه أحد السادة حتى لا يدنسه فمال على السيارة، فمس طرف رغيف مما في الفرش وجه الولد مساً رفيقاً، وقامت القيامة ووقف القسم الظالم من هذا الشعب، أمام القسم المظلوم، يمثل الأول ولد السيارة بقسوته وكبريائه، وأخذه ما ليس له واستطالته على من دونه، ويمثل الثاني غلام الخباز، بضعفه وبؤسه وكدحه وذلته، صرخ الولد وأعول، وهاجت الأم، ونزل

(١) انفزر من العامي الفصيح

السائق بقوته وبطشه على هذا الغلام ، فضربه حتى كاد يحطمه ، ورمى خبزه ودعسه بقدميه ، وتم ذلك فى لحظات ، فما وصلت حتى كان كل شيء قد انتهى ، والسيارة قد مرت كالعاصفة ، لم تخلف وراءها إلا الغلام يبكى صامتاً ، لا يرفع صوته ولا يستنصر أحداً ، لأنه يئس من أن يجد فى هؤلاء المفترقين إنساناً يصغى إليه

وأسدل الستار على المأساة ، وعاد الموكب الحالم يتابع طريقه يستمرئ حلمه الذهبى المترع بالنشوة والشهوة والفتون ...

وكأن شيئاً لم يقع ، لم نقتل العدل ، ولم نظلم الطفل ، ولم نملأ هذا القلب الصغير حقداً على الحياة ، حتى إذا كبر استحال هذا الحقد إجراماً فاتكا مدمراً

دمشق — علي الطنطاوي

قرية الأدباء

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

فى كل بلد من بلاد العالم بيئة أدبية تختلف قوة وضعفا ورقيا وانحطاطا تبعا للعوامل المؤثرة فى الاتجاهات الفنية حينا بعد حين. ولا تكاد تخلو مدينة أو قرية فى كل قطر من فرد أو أفراد شاركوا فى الحياة الأدبية بنصيب ، وأثروا فى النهضة الفنية أو تأثروا بها على أقل تقدير

من هذه البلاد المصرية التى لها بعض الفضل فى إيقاظ الحركة الأدبية فى العصر الحديث ، بلد ريفى جميل ، يجمع بين مزايا المدن وسمات الريف الوريف ، لحسن موقعه شرق نهر النيل ، ولكثرة مدارسه وذيوع أسماء كثير من أبنائه الأدباء ، هذا البلد ، أو هذه المدينة هى « كوم النور » إحدى بلاد إقليم الدقهلية الخصيب

أول من أذكره من علمائها وأدبائها وشعرائها الأفذاذ المرحوم الشيخ سيد خليل ؛ ولقد كان لهذا العالم المتصوف والأديب الشاعر الكبير الفضل الأول على أبناء كوم النور فى نهضتها الأخيرة . كان يميل إلى طريقة عمر بن الفارض فى الشعر ، وإلى طريقة محيى الدين بن عربى فى التصوف وعلوم الدين ، وله أشعار كثيرة مطبوعة وكتب دينية وأدبية مخطوطة أشهرها تفسيره القيم للقرآن الكريم . وكانت له مجلة شهرية اسمها « التذكرة » يصدرها ويحررها بمقالات عظيمة فى الأدب والدين والاجتماع

وقد كان للشيخ سيد « زاوية » يذكر فيها مع أتباعه ومريديه وما تزال إلى الآن ؛ وقد آلت رئاستها إلى الأستاذ محمد محمد عبده من فضلاء أدباء كوم النور بعد وفاة رئيسها السابق الأستاذ محمد المتولى هاشم رحمه الله . هذه الزاوية هى الركن الركين لتلاميذ الشيخ سيد ، تخرج عليه فيها ، وعلى كتبه ودواوينه من بعده جم غفير ، منهم ابنه الأستاذ فؤاد السعيد خليل ، وهو معروف للقراء بشعره ونثره الرصين . ومن شعراء هذه المدرسة الأستاذ عبد العزيز محمد خليل ، أحد أفذاذ شعراء دار العلوم ورائد الرعيل الأول من أدباء كوم النور ، وفى شعره العذب مزيج من تأثيره بطريقة الشيخ سيد خليل وميل إلى التجديد والتحرر من قيود القديم ؛ وشعره يجمع بين الرقة والجزالة فى أسلوب عربى متين

ومنهم الأستاذ محمود عبد المعطى خليل تأثر بالشيخ سيد فى الناحية الصوفية حتى غلبت عليه ، وغطت النزعة الأدبية فيه ، فترك الشعر بعد أن قطع فيه مرحلة واسعة . والأستاذ محمد عبد البارى البدرى خليفة الشيخ فى الورع والتصوف والتبحر فى علوم الدين

ومن أعلام كوم النور وعلمائها البارزين المرحوم الشيخ محمد سليمان عنارة نائب المحكمة العليا الشرعية السابق ، وهو كاتب عذب الأسلوب رقيق الحاشية ، كتب وخطب وألف وصنف كثيرا من الكتب الأدبية والدينية . ولا ينسى الناس معارضته الشديدة الموفقة لترجمة القرآن الكريم ، حتى ألف فيها كتابه القيم « حدث الأحداث ترجمة القرآن الكريم » وكانت

له ندوة أدبية في منزله يغشاها الزعماء والوزراء وقادة الرأي يملك الشيخ فيها ناصية الحديث

ومن علماء كوم النور الراسخين في العلم المرحوم الشيخ عبد العزيز عبد الفتاح خليل المدرس السابق بدار العلوم ، كان أحد المتبحرين في علوم الدين ، وكان متصوفاً يجنح إلى العزلة ويميل إلى الخشوع

وفي طليعة علماء اللغة بكوم النور ، المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر بك . كان حجة في النحو والصرف ، ضليعا بالدقائق والمشكلات والبحوث اللغوية ، تولى تدريس اللغة العربية بكثير من المعاهد العالية

ومن الأعلام البارزة في كوم النور الأستاذ الكبير عبد الحميد السيد أحد كبار رجال التربية والتعليم في وزارة المعارف، وإلى ثقافته الواسعة وأياديه الجليلة على العلم والتعليم يرجع الفضل في شؤون اللغة العربية بالتعليم الثانوي والتعليم الابتدائي

وإذا كان الشعر هو العنصر الأول في كل بيئة أدبية ، فقد عرف به عدد كبير من أبناء كوم النور ، منهم هؤلاء الشعراء الأساتذة : محمد سلامة مصطفى وهلال شتا وأحمد البدري وإبراهيم الزين وعباس مصطفى ومحمد هلال ومحمد عبد الخالق ندى وإبراهيم البدري والسيد يوسف جودة وعبد العزيز العجمي ومحمد زيادة ومحمد عمر هاشم وهلال الفيشاوي ومحمد شحاتة أبو رجيلة وسليمان العزب ومحمود سعيد ندى

ومن الطرائف اللطيفة أن الشاعر محمد سلامة مصطفى - وهو معروف للقراء - كأنما ورث الشعر وراثة عجيبة عن أبيه وجده لأمه ، فهم جميعا شعراء ، وقد قلت في ذلك :

وراثة الفن الرفيع الباهر
معجزة تحققت للناظر
على يدي « سلامة » المثابر
الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعر

ويمتاز الشاعر هلال شتا بكتابة القصص الطريفة ، وله مجموعة قصصية مطبوعة منذ سنوات

ومن الزجالين المعروفين بكوم النور ، الأستاذ عبد الحي حام ، وهو ينشر أزجاله السياسية والاجتماعية في مجلة «الشهاب» التي يصدرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ محمد مصطفى حام ، ومنهم الأستاذ عبد الفتاح العجمي والأستاذ العوضي جودة

ومن الخطباء الممتازين بكوم النور الأستاذ محمد عبد الله أبو عيسى ، وله قدرة عجيبة على الارتجال البليغ تستحق الثناء والإعجاب ، والأستاذ محمد يوسف جودة وهو ينفذ إلى أعماق القلوب ، والأستاذ مصطفى داود من كبار المربين

ومن الصحفيين المعروفين بكوم النور الأستاذ علي عامر رحمه الله ، اشتغل بالتحرير في كثير من الصحف والمجلات الراقية ، وكانت له شهرة واسعة بالإجادة في كل ما يتصل بالأزهر والأزهريين ؛ وقد أقيم له حفل تأبين كبير بدار الشبان المسلمين

ومن الصحفيين النابهين الأستاذ أمين سلامة عضو نقابة الصحفيين ، والأستاذ أحمد فتحي عبد العزيز خليل وهو يصدر صحيفة لطيفة صيفية بكوم النور

وفي كوم النور عدد ضخم من المثقفين ثقافة ممتازة ، كالدكتور الشاذلي محمد الشاذلي المتخرج في أرقى جامعات لندن، ويلقبه إخوانه الظرفاء : « Made in England » والدكتور إبراهيم عبد الشافي الشربيني والأساتذة محمد عبد المنعم سلامة المدرس بكلية التجارة وعصام محمد سليمان وهو كاتب ومؤلف معروف ومحمد المتوكل عبد الله وحامد عبد الحميد مويس وعبد المنعم شعيب أحد البحرين في الأدب والدين والقانون وعلي خليل وحامد السيد خليل وتوفيق أحمد علي وعلي البنداري جابر « مؤرخ كوم النور وحافظ شجرة الأنساب » !!

وقد تفضل بزيارة كوم النور كثير من الشعراء والأدباء منهم الأساتذة أحمد مخيمر وتوفيق عوضي أباظة ومحمد الصادق مسعود وعبد العزيز السمدني ومحمد رجب البيومي وأحمد نار ومحمد أحمد السنهوتي . وزارها من قبل الخديو عباس حلمي الثاني وقال فيها كلمته المشهورة « زرت قرى أوربا قرية قرية ؛ فلم أجد فيها مثل قرية كوم النور »

ومن أبناء كوم النور ، كاتب هذه السطور :

أحمد أحمد العجمي

لغة المستقبل ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

قرأت بمزيد من الإعجاب المحاضرة القيمة التي ألقاها أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك بمجمع فؤاد الأول للغة العربية وجعل موضوعها « الفكر واللغة » والتي نشرتها الرسالة في العدد ٩٧٥

ومما زادني إعجابا بهذا البحث العميق ما انطوى عليه من سعة الأفق وعمق الطاقة ، ولا سيما إذا قارنته ببحثي المتواضع الذي نشرته بالرسالة من قبل بعنوان « اللغة والفكر » (١)

لقد وقفت متأملا قول أستاذي الدكتور في محاضرته الجامعة « والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب ، لأنها أبعدها مدى في العموم والتجريد ، فإذا حصرت حقائقها ، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة ، وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالمية »

ولعل هذه العبارة المركزة أن تكون بعيدة عن مدارك العامة من المثقفين ، وقد يستغلق على بعضهم فهم المكانة الفلسفية للعلوم الرياضية من المجموعة العلمية ، لهذا نرى من حق الرسالة علينا أن نستسمح أستاذنا فنحاول في هذا المقال أن نبين للقارئ ما يجب علينا بيانه وتبيينه فيما يتعلق بالرياضيات

يقول « نافيل Naville » في كتابه (تصنيف العلوم) — « إن العلوم روابط خلقها العقل بينه وبين الأشياء ». وإذا نحن طالعنا هذه العلوم اعترتنا حيرة : فبأيها نبدأ وبأيها ننتهي ، ونخشى حين نصنف هذه العلوم أن تقع فريسة في أيدي المصنفين، ومهما يكن من خلاف بينهم . فالجميع متفقون على البدء من البسيط غاية التبسيط إلى المركب غاية التركيب

والحق أن العقل الإنساني لا يطيق الفوضى ، وإنما هو نزاع أبدا إلى أبسط « عملة فكرية » يتعامل بها وهي « المعاني » حين تتجرد أقصى مايكون التجريد . فلابد من علم يجمع قوانين الفكر الأساسية هو « علم النواميس Nomologie » كما يسميه « نافيل » وهو « المنطق » عند المدرسيين

وسواء كان هذا المنطق علما أو فنا أو مدخلا أو أداة لسائر العلوم ، فإنه أول مصدر لكل معرفة إنسانية مشروعة وأساس لكل تفكير ، لأنه يتناول المقولات الخالصة

ويلي المنطق مباشرة « الرياضة » إذ تتناول المقولات الكمية (كالنقطة الحسابية والنقطة الهندسية) وما بين هذه المقولات من نسب (كالزيادة والنقصان والتساوي)

ويتلو الرياضة في بساطتها : الميكانيكا والفيزيقا والكيمياء ، والبيولوجيا والسيكولوجيا ثم علم الاجتماع

ولم يكن من اليسير أن يطفر الفكر إلى المعاني . وذلك لأن « طبيعة الأشياء تأبى الطفرة » ، فالحواس التي عرفتنا بما نحس ، وحلل العقل ما أوتي منها ، واستخلص من بين عناصرها البسيطة ما هو مشترك بينها وهو « الكلي » . وبهذا الانتقال الذهني الخالص نصل من الأفراد إلى « الكلي المجرد » ومنه إلى « العام » . وصدقت الحاجة إلى تثبيت المعاني المجردة والعامة واستحضارها وترتيبها ، وإقامة صلات بينها دون اللجوء في كل مرة ، إلى ما بدأنا به أول مرة ، ولا يتم هذا إلا باستعمال الرموز التي تغني عن الجزئيات ، إذ « الرمز إشارة إلى ماله صلة بغائب محجوب أو يستحيل إدراكه » (٢)

ولما كان العلم بالكلي — كما يقول أرسطو — فلابد من أن تتسابق العلوم إلى هذه « الرمزية » النهائية ، فكانت الرياضة منها في الطليعة

وإذا كانت المعاني هي العملة الفكرية ، وكانت اللغات إنما هي المعاني تحملها الألفاظ ، فإن الرياضة هي أسمى لغة التفاهم العقلي في أسمى درجاته ، لذلك قال (كوندياك Condillac) « كل علم ليس إلا لغة مصنوعة بإتقان » أو كما يقول (فولتير) « إن العقل سينتهي إلى يعقل » أي ينتهي إلى قانون يعقل الوجود

١) في ٥ ، ١٢ يونيو سنة ١٩٥٠

2 — Lalande, Lectures, P.18

وبحكمه

وعلوم الـكون — على اختلاف مناحيها — تنزع إلى أن تكون كالرياضة ، فعلم الفلك مداره الجاذبية ، لهـذا لم يعتبره (أوجست كونت) من الرياضة بل اعتبره من الفيزيقا البحتة ، غير أن (أمبير) رأى في الفلك علما رياضيا بسبب تقدمه العلمي، وبذا جعل الرياضيات علوما للطبيعة المادية أي علوما كونية Sciences cosmologiques وعرفها بأنها « العلوم التي لا تعتبر في الظواهر الطبيعية غير نسب الـكمية » (٣)

كل هذه المحاولات للتقرب من الرياضة لم تقض على ما بينها وما بين سائر العلوم من فوارق : فالرياضة لا تعنى عما هو كائن ، وإن كانت تضع مبدئيا شروط إمكانية الأشياء المادية ، غير أنها تدع للفيزيقا العناية بإقامة الوقائع التي أعطيت لنا في هذا العالم

والرياضة قبل كل شيء ذات موضوع متميز ، ولها منهجها وروحها ، وهذا ما نود أن نعرضه للقارئ في هذه المجالة بحيث تتأدى المقدمات إلى نتائجها من غير تعقيد

والمعروف أن الرياضة فرعان هما : علم العدد ، وعلم الهندسة

وعلم العدد هو الذي ينظر في معاني الـكمية والعدد والنسبة دون أن يفترض فيها موضوعا خاصا ، ودون حاجة إلى نظريات الشكل والمقدار اللذين في الواقع؛ فهوكما يقول ابن خلدون « المعرفة بخواص الأعداد من حيث التأليف ، إما على التوالي أو بالتضعيف » (٤) وهو كما يقول أيضا « أول فروع الرياضة (التعاليم) وأثبتها في البراهين الحسابية ، عنى به بعض العلماء فاستخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعل ابن البناء في كتابه (رفع الحجاب) »

وتنحصر فائدته في عدم تعينه في الأشياء المحسوسة التي يطابقها (٥) . فالعدد ٥ يطابق ٥ رجال و ٥ خيول و ٥ حواس. و ٥ فضائل

ومن فروع علم العدد (صناعة الحساب) . وهي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق

ولما كان لعلم العدد صلة بالـكميات المجردة ، فقد وجب إنشاء فرع له هو (الجبر) لأننا بدلا من اعتبار القيمة الفردية للأعداد نضع حروفا تدل على عدد ما بدون أي تفرقة

وقد اصطلح العرب على أن يسموا هذا العلم « الجبر والمقابلة » وهو « صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك » كما يقول ابن خلدون

ودراسة الدوال Fonctions هي الفرع الأعلى للرياضة البحتة لأنها تعنى بالنسبة بين متغيرين دون الاشتغال بتقدير هـذه النسبة ؛ وهذا يؤدي إلى الرياضة العليا من حيث صلتها بالحساب والجبر وهما « الرياضة الأولى »

ولعلم العـدد أيضاً فرعان آخران هما : (المعاملات) وهو تصريف الحساب في معاملات المدن ، و (الفرائض) وهو صناعة حسابية في تصحيح السهام (الأنصبة) لذوي الفروض في الوراثات وهو يعتمد على الفقه والحساب معاً ، وهكذا يكون علم العدد بحثاً وتطبيقاً أي علماً وصناعة

أما الهندسة فهي علم النظر في المقادير ، إما المتصـلة كالخط والسطح والجسم ، وإما المنفصـلة كالأعداد ، وما يعرض لها من العوارض الذاتية . وموضوعها الامتداد كجزء من الفراغ ، فهي تدرس خواص الامتداد وتسمى الهندسة الفراغية

ومن فروع الهندسة : هندسة الأشكال ، وهندسة المسافة ، وعلم المناظر ، ويجب ألا نغفل هندسة الوضع Géom de position التي ظهرت في القـرن السابع عشر على يد (ليبنتز) وأغفلها (كونت) .

وللهندسة — كعلم العدد — جانبان : العلمي البحت ، والتطبيق العملي . وهـذا الجانب الأخير لا يقلل من قيمتها التجريدية ، بل يؤكد وثاقتها بطريق عملي ، يصبح أشبه (بالحدس الحسي) ، وكما يقول (فافر Favre) : (يجب أن نعرف لنقدر ، ويجب أن نقـدر على إعداد العمل النافع)

وسيرى القارئ — إن شاء الله — في العدد القادم كيف انفردت الرياضـة بمنهج خاص ، وما يستتبع ذلك من تكون « الروح الرياضي » وأثر ذلك كله في شتى العلوم

محمد محمود زيتون

3 — Philos des sciences T, 1

٤) مقدمة ابن خلدون

5 — Lalande, Lectures P, 71

٦ - دعوة محمد

لتوماس كارليل

تتمة البحث

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

عظمة محمد :

إنى لأحب محمداً — وليس فى مقدور أى إنسان منصف مثله إلا أن يحب هذا الرجل — وذلك لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . فلقد كان محمد هذا رجلا مستقل الرأى ، لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه ، لم يكن متكبراً ولكنه لم يكن خانعاً ذليلا ، فهو قائم فى جلبابه المرقع كما أوجده ربه وكما أراد له أن يكون ، يخاطب بقوله الحر المبين ، أكاسر الفرس وأباطرة الروم ، يدعوهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، ويرشدهم إلى ما يجب عليهم فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى . وكان يعرف لنفسه قدرها ويضعها فى موضعها اللائق بها . فلا يتقدم حيث يجب التأخر ، ولا يتأخر حيث يجب التقدم ، ولا يقسو حيث تستحب الرحمة ، ولا يرحم حيث تفيد الشدة ، ولقد وقعت بينه وبين الأعراب حروب متعددة ، لم تخل من مشاهد القسوة ، ولكنها مع ذلك لم تخل من دلائل الرحمة وسعة الصدر وكرم الغفران . ومع ذلك فقد كان لا يعتذر من الأولى ولا يفخر بالثانية ، فقد كان يراها من أوامر شعوره ووحى وجدانه . ولم يكن شعوره لديه بالظنين ولا وجدانه عنده بالمتهم

وكان محمد رجلا ماضى العزم قوى الشكيمة لا يؤخر عمل اليوم إلى غده ، فقد حدث فى غزوة تبوك أن امتنع المسلمون عن السير إلى ساحات القتال ، متذرعين بأن الوقت وقت الحصيد ، وبأن الحر شديد لافح ، فنظر إليهم نظرة نفذت إلى قلوبهم ثم قال لهم : الحصيد ؟ إنه لا يلبث إلا يوما أو يومين ، فماذا تتزودون لحصيد الآخرة ، وأما الحر فإنه نعم حر شديد ولكن جهنم أشد حرا ، فماذا أنتم فاعلون هناك

وقد كان فى بعض الأحايين يخرج كلامه سخرية لاذعة وتهكما مرا ؛ من ذلك قوله للكفار ، إنكم ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم وأنه سيوزن لكم الجزاء، ثم لا تبخسون عن أعمالكم مثقال ذرة

وما كان محمد عابثاً قط ولا شابت أقواله شائبة لهو أو لعب ، بل إنه كان ينظر إلى الأمور نظرة جد ثاقبة ، ممزوجة بالإخلاص الشديد والجد المر، فلقد كان الأمر إما أمر فلاح وإما أمر خسران، والحياة إما حياة بقاء أو حياة فناء . أما التلاعب بالأقوال والاستشهاد بالقضايا المنطقية والعبث بالحقائق ، فلم يكن من شأنه قط ولا عرف عنه شىء من هذا أبدا ، فإن ذلك التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ... عندى لمن أفظع الجرائم وأكبر الدلائل على كذب المرء وعبثه . إذ أن هذه الأشياء ليست إلا رقدة القلب ووسن العين عن الحق ، وبرهان على عيشة المرء فى مظاهر كاذبة ، وليس يستنكر من إنسان يتخذ التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ، هو أن جميع أقواله وأفعاله أكاذيب وأضاليل ؛ بل إنه هو نفسه أكذوبة ، إنه إنسان كاذب ولكنه مصقول اللسان مهذب القول ، يلقى احتراما فى بعض الأزمان وبعض الأمكنة ، لا تؤذيك بادرته ، لأنه لين الملمس رقيق المس ، لكنه كحمض الكربون تراه على لطافه سما نقيعا وموتا ذريعا ، والأدهى من ذلك أن خصلة المروءة والشرف — شعاع الله فى مخلوقاته — تجدها متضائلة فى ذلك الإنسان كما أنه يكون مضطربا بين عوامل الحياة والموت

أما محمد ذلك الرجل العظيم فإنه من المحال أن يكون كهؤلاء الميتى القلوب الذين لا يعرفون الطريق إلى الله . إنه من المحال أن يكون كاذبا مثل هذا الرجل الكبير ؟ فإنى أرى الصدق أساسه وأساس كل ما جاء به من فضل ومحمدة . وعندى أنه ما من أحد من الرجال الذين يسمونهم العظماء أمثال — نابليون أو بارنزا أو كرمويل أو ميرابو وغيرهم — ، ينال النجاح والفوز فى عمل يقوم به إلا إذا كان الصدق والإخلاص وحب الخير أول بواعثه على محاولته فيما يحاول ، أى أن صدق النية والجد فى الإخلاص ، بل أقول إن الإخلاص — الحر العميق الكبير — هو أول خواص الرجل العظيم وأهم صفاته . وأنا إذا قلت الرجل العظيم ، لا أريد

به ذلك الرجل الذى لا يني يفتخر أمام الناس بإخلاصه ، كلا فإن ذلك الرجل ليس عظيما بل هو حقير جدا ، وإخلاصه إخلاص سطحى لا يقصد به نفع الآخرين ، إنما يبتغى به منفعة نفسه ، وهذا الإخلاص فى الغالب ، إنما هو غرور وفتنة

أما إخلاص محمد ذلك الرجل العظيم ، فقد كان لا يتحدث عنه ولا يفتخر به ، بل ربما كان فى بعض الأحيان يشعر من نفسه بعدم الإخلاص إذا كان يرى غيره لا يستطيع أن يلتزم منهج الإخلاص يوما واحداً فكان يلجأ إلى ربه الذى لا ملجأ منه إلا إليه يطلب منه أن يرزقه الإخلاص

* * *

لقد كان إخلاص محمد غير متوقف على إرادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، وكيف لا يكون مخلصاً إخلاصاً حقيقيا ، وهو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله ، ولا يستطيع أن يغمض عينيه عن جلالها الباهر ، وهو يرى الكون مدهشاً ومخيفاً وحقا كالموت وحقا كالحياة ، وهذه هى الحقيقة التى لم تفارقه أبداً وإن فارقت أكثر الناس ، فساروا على غير هدى ، وخبطوا فى دياجير الظلام وغياهب الغواية والضلال ، وهكذا خلق الله محمداً ذا عقل راجح ونظر ثاقب ، وإخلاص فى غير تفاخر ، وهذه هى أهم أسباب العظمة

كانت الحقيقة الكبرى ماثلة دائماً نصب عينيه ، حاضرة أبداً فى ذهنه كأنها منقوشة بحروف من اللهب ، وهذه هى أولى صفات العظيم ، وبها يمتاز ويعرف . وهى ما امتاز بها محمد ، ولا أنكر أنها قد تكون موجودة فى الرجل الصغير ، لأن كل إنسان خلقه الله جدير أن توجد صفة الإخلاص فى نفسه ، ولكنها قد تكون وقد لا تكون . أما الرجل العظيم فإنها من لوازمه؛ بل إن الرجل العظيم لا يكون عظيما إلا بها ، وإنى أرى أن من أسباب عظمة محمد أنه كان نافذ النظر إلى لباب الحقيقة ، يمتاز بنفس شاعرية كبيرة ، وآيات تدل على أكرم الخصال وأشرف المحامد، وإنى كلما قرأت عنه تبين لى فيه عقل راجح وفؤاد صادق وعين بصيرة ، ورجل عبقرى لو أنه أراد أن يكون شاعراً لكان من فحول الشعراء ، ولو شاء أن يكون فارساً لكان من أشد الفرسان شكيمة ، ولو ابتغى ملكا لكان ملكا جليلا مهيباً ، ولو أحب أن يكون أى شىء من كل هذا لكانه بغير أن يكلفه أى مشقة أو عناء

وأى دليل على عظمته وصدق نبوته أقوى من نظرته إلى الكون ، فلقد كان العالم فى نظره معجزة كبرى تدل على خالق الكون العظيم . كان ينظر إلى الكون فيرى فيه غير ما كان يراه أعاظم المفكرين من الذين كانوا يقولون إن العالم فى الحقيقة لا شىء. أما محمد فقد كان يرى العالم آية منظورة ملموسة على وجود الله ، بل إنه ظل الله علقه على صدر الفضاء ، وكان يقول : إن هذه الجبال ، هى أوتاد الأرض ، وهى رغم عظمتها وشموخها ستذوب وتصير كالعهن المنفوش فى يوم القيامة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) فى يوم القيامة ستتصدع الأرض وتتفتت وتذهب فى الفضاء هباء منثورا

وكان سلطان الله وعظمته لا يزال واضحا امامه على كل شىء ، وأن كل مكان مملوء بقوة مجهولة ورونق باهر وهول عظيم ، إن هذا الكون هو الحقيقة الصادقة ، والجوهر القوى ، هكذا كان محمد ينظر فى الكون ، وهذا ما يسميه علماء العصر الحديث القوى والمادة . ولكنهم لا يرونه شيئا مقدسا ، بل إنهم لا يرونه واحدا ، بل أشياء متعددة تباع وتشترى بالدرهم والدينار ، وتستخدم فى أغراض الناس وإصلاح حالهم أو إفساده ، فهم لا ينظرون إليها على أنها سر من أسرار الله فى الكون

إن العلوم الحديثة من كياويات وحسابيات ، قد أنستنا ما يكمن فى الكائنات من سر إلهى وعظمة تدل على الخالق القوى القدير . فما أفحش ذلك النسيان عارا وما أشد هذه الغفلة إثما ، فإذا نسينا قوى الله فى العالم فأى الأمور يستحق أن يذكر ، إن العالم اليوم يسير فى مجاهل الغرور والضلال ، وصار الناس يفتخرون بما بلغوا من علوم ومخترعات ، ولو كان لهم نظرات صادقة لرأوا أن معظم علومهم أشياء ميتة بالية، وأن مخترعاتهم بقلة ذابلة ، وأن هذه العلوم التى يفتخرون بها لولا سر الله لما كانت إلا خشبا يابسا ميتاً ، ليست بالشجرة النامية التى تعطى الثمر اللذيذ المفيد، ولا بالغابة الكثيفة الملتفة التى لا تبرح تعطينا الخشب الذى نستفيد به ، ووالله لن يجد المرء — إذا ابتعد من طريق الله — السبيل إلى العلم إلا هشقشة كاذبة ، وبقلة كما قلت ذابلة

محمد رسول الله :

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصيلا كريم المنصر صافي الجوهر ، وهو رسول مبعوث من لدن القوة العلية أرسلته إلينا برسالة قدسية فيها لنا هدى وتبصرة ، وقد نحار في تسميته فنسميه شاعراً أو نبياً أو إلهاً ... وسواء كان هذا أو ذاك ، فالذي يجب أن نعلمه أن ما جاء به هو من عند الله ، وأن قوله ليس مأخوذاً من رجل غيره ؛ وإنما هو صادر عن الأبدية السرمدية وأنه من لباب الحقائق

ولن أكون مغالياً إذا قلت إن مثل هذا الرجل يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك اصطلاحات كاذبة ولا اعتبارات باطلة ولا معتقدات وعادات سخيفة ، فتدفعه نفسه عن النظر إلى هذه الأشياء كلها . وكيف ينظر إنسان إلى هذه السخافات وهو يرى الحقيقة تسطع أمام عينيه قوية باهرة حتى ليكاد نورها يعشي عينيه ، وفي رأيي أن محمداً مخلوق عظيم من فؤاد الكون وأحشاء الدنيا وأنه جزء من الحقائق الجوهرية ، وقد دل الله على أنه رسوله إلى هذا العالم بعدة آيات ، أهمها أنه علمه العلم والحكمة وأمره أن يدعو الناس إليهما ، ثم أوجب علينا الإصغاء إليه قبل كل شيء ، لأن الرسالة التي بعث بها هي الحق الصراح ، وليست كلماته إلا أصواتاً صادقة صادرة من مصدر لا ندركه نحن ، فإذا عرفنا هذا استحال علينا أن نعد محمداً هذا أبداً رجلا كاذباً أفاقاً يتصنع الحيل ويتذرع بالوسائل طمعاً في ملك أو سلطان أو غير ذلك من صغائر الأمور وحقائر الأشياء . كلا ليس محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة الأبدية قد تفتح عنها قلب الطبيعة ، وإنما هو قبس من النور المقدس يشع من الأبدية فإنما هو شهاب قد أضاء سناه العالم أجمع (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدفع حجة الدجالين وتدحض افتراء الكاذبين المفترين

* * *

إن قوماً قد اعترفوا بنبوة محمد ولكنهم قالوا إنه وقع في بعض الأخطاء وليس في مقدور أي إنسان أن يثبت على محمد هفوات وأخطاء تذري بتلك الحقيقة الكبرى الظاهرة لكل عين بصيرة . وهي أن محمداً رجل صادق ونبي مرسل من رب العالمين . ولا نكلف أنفسنا شططاً فنجسم الهفوات ونجعل من الجزئيات حجباً تحجب عنا نور الحقيقة الباهرة

إن أخطر الذنوب وأكبر الآثام ليهون أمرها إذا كان لباب النفس حراً كريماً وسرها شريفاً ، إذ أنها لابد تائبة عما ارتكبت ، وفي التوبة النصوح والندم الصادق ولذع الذاكرة ووخز الضمير المكفر الأكبر للسيئات ، والمطهر للروح من أدران الشوائب والموبقات . إن التوبة الصادقة في نظري أكرم أعمال المرء جميعها وأقدس أعماله كلها

أما إذا حسب المرء نفسه بريئاً من كل ذنب ، بعيداً عن كل خطأ ، فإنه يكون في نظري خالياً من الوفاء والمروءة ، بعيداً عن الحق والتقى والخير ، وإن نفسه لتكون ميتة — وإن شئت فقل إن نفسه تكون نقية نقاء الرمل الجاف

والذي يعرف سيرة نبي الله داود وتاريخه كما هو مدون في مزاميره ، يرى أنه أكبر دليل وأصدق شاهد على ارتقاء النفس البشرية في مدارج المكرمات ، وأن الحرب بين العقل والهوى إن هي إلا حرب طالما ينهزم فيها العقل هزيمة تضعضع جانبه وتتركه على شفا الانقراض وحافة الزوال . ولكنها حرب تكون مشفوعة دائماً بالتوبة والندم ، إنها حرب تستنهض العزم الصادق وتجدد قوى الإيمان بوجوب انتصار العقل وهزيمة الهوى ، هذا إذا كان جوهر النفس نقياً ولبابها حراً ، فإن الخير فيها سينتصر على الشر لا محالة

ياويل النفس الإنسانية بين ضعفها وقوة شهواتها ، وما أشد خطبها بين قوى الخير والشر ، أليست حياة الإنسان سلسلة من العثرات ؟ وهل في مقدور الإنسان أن يتفادى كل العثرات وينجو منهــا . إن المرء لا ينهض من عثرة إلا إلى أخرى . وبين هذه وتلك عبرات ونحيب وبكاء وشهيق وزفرات ونشيج . فإن استطاع بعد طول المجاهدة أن يغلب على هواه كان ذلك فوزا عظيما، وكان دليلا على أن لباب نفسه حقا وجوهرها صحيحا.. وفي هذه الحالة يمكننا أن نتجاوز عن الجزئيات ، لأنها وحدها لا تستطيع أن تجلو لنا الحقيقة وتعرفنا معدن النفس

إن حياة المرء العادية هي التي تكشف لنا عن جوهر نفسه وحر معدنه ؛ لأنه سيكون فيها سائرا على سجيته بغير كلفة ولا تصنع

ونحن إذا تتبعنا محمدا في حياته اليومية خرجنا بما يثبت صحة ما نقول ، من أنه مبعوث الأبدية ورسول العناية القدسية

فقد كان محمد صوت فؤاد يهيم بين الرجاء والخوف ، الرجاء والأمل في سعة رحمة ربه.. والخوف من ارتكاب الذنوب وهول يوم الحساب رغم أنه كان متدينا شديد التمسك بدينه ، موعودا من ربه بالمثوبة وحسن الجزاء . وقد تروى عنه مكرمات عالية وتذكر له صفات هي في الذروة من الصفات الإنسانية ، فعندما مات ابنه إبراهيم قال : إن العين لتدمع والقلب ليوجع والنفس لتجزع ولا نقول ما يغضب الله .. ولما استشهد مولاه زيد بن حارثة في غزوة (مؤتة) قال محمد : لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، وقد لقي الآن ربه خالصا فلا بأس عليه . غير أن ابنة زيد رأت محمدا بعد ذلك يبكي على جثة أبيها ، رأت الرجل الذي دب المشيب في مفرقيه تسيل عينه دمعا ويذوب قلبه حزنا ، فنظرت إليه متعجبة ، ثم قالت : ماذا أرى ؟ فقال لها : صديقا يبكي صديقه .
إن مثل هذه الأقوال وهاتيك الأفعال لتوضح لنا شخصية محمد وترينا أنه كان أخا الإنسانية الرحيم الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، إن مثل هذه الصفات التي امتاز بها محمد والأحكام التي جاء بها القرآن والتعاليم التي اختص بها الإسلام ، كل هذه جميعا هي التي أخرجت العرب من الظلمات إلى النور، وأحيت بهم أمة كانت هملا بين الأمم ، فجعلتها تمسك بزمام العالم تقوده إلى بر الأمان

وهل كان العرب إلا فئة من الرعاة الجوالين خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ أن خلق الله العالم ، لا يسمع لها صوت ولا تحس لها حركة ولا يقام لها وزن

فلما جاءهم محمد من عند الله برسالة من قبله ، بدل أمرهم فإذا الضعة قد استحالت رفعة ومجدا، والخمول شهرة والضعف قوة، وإذا الظلام نور شع سناه في جميع الأنحاء وعم نوره الأرجاء، ووصل شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالمغرب ، ولم يمض غير قرن من الزمان على بعثة محمد حتى بلغ العرب الذروة في المجد، وأصبح لهم رجل في الهند ورجل في الأندلس ، وأضاء نور الإسلام دهورا عديدة نصف الكرة الأرضية ، وتمتع الرعايا الذين كانوا تحت حكم الإسلام بفضل الإسلام ورونق الحق ونبل المسلمين ومروءتهم وشجاعتهم وبأسهم ونجدتهم، وهدى الله الكثير منهم فشرح صدرهم للاسلام فدخلوا فيه طائعين مختارين بعد أن عاشروا أهله ورأوا ما في الإسلام من تعاليم تكفل العدل وحر الحياة لكل أفراد الرعية ، وهذا حال الحكم الإسلامي ما دام الإيمان القوي — الذي هو مبعث الحياة ومنبع القوة — يملأ نفوس المسلمين ويرسم لهم مناهج الحكم وسبل الحياة

إن في استطاعة المسلمين في أي عصر من العصور أن يصلوا إلى أرقى مدارج الفضل وأن يبلغوا ذرى المجد إذا اتخذوا اليقين مذهبهم والإيمان الصحيح منهجهم ، وما دام الإسلام وتعاليمه رائدهم . فالإسلام نور ونار ، نور يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) ونار تحرق كل شوائب النفوس وأقذارها فتصفي معدنها وتمحي ميتها

ألستم ترون في حالة محمد مع أولئك الأعراب الوثنيين عندما جاءهم بدعوته ، كأنما وقعت من السماء شرارة على تلك الفيافي الواسعة التي لا يرجى فيها خير ويبصر بها فضل ، فإذا هي بانفجار سريع قوي يبدل حالها ويضيء ظلامها ويحيي مواتها ، وإذا الرمال الميتة قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهي ، وهذا أكبر دليل على صدق محمد وعظمته ، ولطالما قلت إن محمدا شهاب أرسلته السماء وكان الناس جميعا في انتظاره كأنهم حطب يابس ، فما هو إلا أن سقط عليهم حتى

تأججوا والتهبوا وصاروا خير أمة أخرجت للناس

خاتمة :

وعلى كل حال فالدين الذى جاء به محمد دين عالى فيه للمبصرين أشرف معانى الروحانية وأعلاها، فاعرفوا له فضله ولا تبخسوه حقه ، فقد مضى على ظهور محمد ودعوته مئتان وألف عام ولا يزال هو الدين القويم والصراط المستقيم لأكثر من خمس العالم ، يؤمن به أهله من أعماق أفئدتهم ، ولا أحسب أن أى أمة حتى أمة النصارى قد اعتصمت بدينها اعتصام المسلمين بالإسلام ، لأنهم يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد، وكيف لا وهو أصلح دستور للحكم وأقوم طريق لقيادة الشعوب إلى السلام الدائم والعدل المقيم . وإن فى استطاعة المسلمين ذوى الغيرة فى الله والتفانى فى حبه ، أن يأتوا شعوب الوثنية بالهند والصين والملايو ، فيهدمون أصنامهم ويشيدون مكانها قواعد الإسلام . ونعم ما يفعلون

إن العالم اليوم فى حاجة إلى قيادة حكيمة وحكم قوى يؤمن بالمثل العليا لينقذه مما هو فيه . ولن يكون له ذلك إلا فى الإسلام الصحيح واتباع دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

تم البحث — عبد الموجود عبد الحافظ

لا يا حضرة القاضى

أنا مستأنف

للأستاذ عبد الجواد رمضان

قرأت ما كتب القاضي الفاضل الأستاذ على الطنطاوى فى العدد الأخير من الرسالة ، تحت عنوان : « أنا مع سيد قطب »

ولا كلام لى مع سيد قطب ، ذلك الأستاذ الذى أحبه ، وأجله — على غير رابطة ولا اتصال — وأشهد الإخلاص فى كل ما يكتب ، وإن خالف وجهة نظرى أحيانا ؛ ولا مع تلميذى وصديقى الأستاذ رجب البيومى ، الذى آلمنى — علم الله — أن يتورط فى موقف لا خير فيه

وإنما دفعنى دفعا إلى كتابة هذه الكلمة ، حديث ذلك الكاتب الرائع ، المؤمن حق المؤمن ، الذى تطير بى كتاباته إلى آفاق من الروحية ، يعيينى التطلع إليها عند غيره من كرام الكاتبين: الأستاذ على الطنطاوى، وما أصدره من أحكام تعوزها « الحيثيات » ويخونها التعليل

وقد حاولت أن أهزمه بضربة قاضية من أول جولة ، حتى لا أدع له فرصة مساجلتى أو الرد على ، فبحثت فى أعداد الرسالة التى تملأ البيت عن مقال له فى بني أمية نشرته منذ سنتين أو ثلاث على ما أذكر ، طار بهم فيه إلى عنان السماء ؛ ثم أنسخه وأبعث به إلى الرسالة لتعيد نشره من جديد ، فأظفر بالفلج من أيسر طريق ؛ ولكن الحظ كان معه على ، فقد ذهب بحثى أدراج الرياح ، بعد عناء طويل

وإنى أختصر الطريق إلى فضيلة القاضى ، فألقاه وجاها ، دون مداورة ولا مجاملة ، ولا احتيال ؛ وأقرر — فى صراحة — ١ — أنه أحال ، فى اعترافه « بأن لبنى أمية فى نشر الإسلام ، وفى فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد ، ثم انكاره أن تكون دولتهم دولة إسلامية — ٢ — وأنه أخطأ فى أن معاوية هدم أكبر ركن فى صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح وجعله انتخابا شكليا مزيفا ، وترك الشورى الخ الخ

ومعاوية رضى الله تعالى عنه من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كتاب وحيه ؛ والخلافة مسألة اجتهادية لم ينص فيها الشرع على وضع معين ، اتكالا على الاجتهاد فيها لمصلحة المسلمين ؛ فقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى دون أن يقرر فيها رأيا خاصا ، واستخلف أبو بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ؛ ووضعها عمر فى أهل الشورى . روى الطبرى أن عمر رضى الله عنه لما طعن ، قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ قال من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى ، قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ، استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : إن سالما شديد الحب لله . فقال له رجل : أنا أدلك عليه : عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز

عن طلاق امرأته ؟ وأنظر ، فإن استخلفت ، فقد استخلف من هو خير مني ، وأن أترك ، فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه ، وما أريد أن أتحملها حيا وميتا . عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم من أهل الجنة الخ

وقد ولي معاوية بعد صراع ، رجحت فيه كفته سياسيا، ثم حربيا بعد اختلاف جند علي عليه ، ثم صالحه الحسن ، وسلم له الأمر ، بعد استشهاد الإمام فاجتمع عليه أمر الأمة ، ولا تجتمع أمة محمد على ضلالة

عن الزهري ، أن الحسن بن علي لما استخلف ، كان عنده شرطة الخميس التي ابتدعها العرب ، وكانوا أربعين ألفا بايعوا عليا على الموت ، وعلى مقدمتهم قيس بن سعد ؛ ولكن الحسن كان لا يريد القتال ، وإنما يريد الدخول في الجماعة ؛ وكان قيس يخالفه في هذا الرأي ، فشغب الجند بالحسن ، ونهبوا سرادقه ، حتى نازعوه بساطا كان يجلس عليه ، وطعنه أحدهم ؛ فلما رأى الحسن تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وخطب أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، وانتهابكم متاعي

وقال للحسين وعبد الله بن جعفر : إني قد كتبت إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان ، فقال له الحسين :نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية ، وتكذب أحدوثة علي ! فقال له الحسن : اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك . ولما علم بذلك عبد الله بن عباس ، كتب إلى معاوية يسأله الأمان . ودخل الناس في طاعة معاوية . (١)

ومعاوية مجتهد ، ما في ذلك شك ، وقد أقره على اجتهاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وناهيك !

قال الطبري بسنده (٢) : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه ، وراح إليه في موكب ؛ فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله ؟! وبلغني أنك تصبح في منزلك ، وذوو الحاجات ببابك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا

فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، أو خدعة رجل أريب !

فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مرني بما شئت ، أصر إليه . قال ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه ، إلا تركتني ماأدري : آمرك أم أنهاك

وإذن فما فعله معاوية من صميم الإسلام ، ولو كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبي الإسلام حيا لأقره عليه ، وقبله منه

فالواحدة التي بألف ليست عند معاوية — وحاشاه — ولكنها عند من تجنى عليه !

° ° °

فأما ما أخذه فضيلة القاضي على بني أمية — بالجملة — من تحكم الشهوات في مصلحة الأمة ، واختيار شر الولاة ، وعدوانهم على الحريات ، وقتلهم العلماء كالحسين وابن جبير الخ الخ

فلعمري ، دولة بعد منها : عبد الملك بن مروان، الذي كان الإمام مالك إمام دار الهجرة يحتج برأيه ، والذي حمله على تأليف « الموطأ » . وسليمان بن عبد الملك الذي يعد الإمام عمر بن عبد العزيز حسنة من حسناته ؛ والوليد بن عبد الله الذي خفقت في أيامه راية الإسلام على ثلاث أرباع العالم المعمور وقتئذ، وهشام بن عبد الملك الذي أتم تعريب الدولة ؛ أقول : إن دولة منها من ذكرت ، لدولة لم تغلها الشهوات ، ولا مال بها الهوى عن الاجتهاد للأمة وللإسلام ، ولا يضيرها أن كان منها بعض الأعضاء الفاسدين ، فالكمال المطلق لله !

والقاضي خير من يعرف أنه لولا الحجاج وأمثاله لانتهى الإسلام بانقضاء عهد الخلفاء الراشدين . ولقد تمرد الخوارج على علي الإمام الراشد ، ولم يفرقوا في اتهامهم المعروف بينه وبين صاحبيه معاوية وعمرو ؛ والله يعلم أي كارثة كانت تصيب الإسلام لو تم اتهامهم على الوجه الذي أرادوه . فالحجاج والقسري وبنو المهلب من هؤلاء الجبابرة حقا ليسوا شرا ممن سلطوا

(١) طبري ج ٢ ص ٤٠
(٢) طبري ج ٦ ص ١٨٤

شعراء مع أشعارهم

عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٥ —

وعلى شعر عدى بن زيد مسحة من حزن دفين . وقد يحار المرء فى تعليل هـذا الحزن والبحث عن أسبابه . ولا يجوز أن نقول إن هذا الحزن قد ألم بعدى بعد أن قـدت عليه الأيام وأوقع به النعمان وحبسه ، لأنا نراه فى شعره من قبل هذا ، من يوم أن كان حرا طليقا، صديقا للملك ومحبوبا منه ، فهو كان من قبل الوقيعة ومن بعد . وأظنك تذكر الأبيات التى أنشدها عدى النعمان حين خرجا بظاهر الحيرة يـتريضان ، والتى وعظه بها ، وتنصر النعمان بسببها ، وتنصر أبناؤه وأهل بيته وبنوا البيع والأديار . إن أكثر شعر عدى موسوم بالأشجان والأحزان ، ولا تجد غير القليل منه طليقا من إسارها . ومن هذا القليل الأبيات التى ذكرتها لك يتغزل فيها عدى بهند ويشبب بها . ومنه أيضا :

يالبينى أوقدى النـارا ... إن من تهوين قد حارا (١)

رب نار بت أرمقهـــا ... تقضم الهندى والغـارا (٢)

عندها ظبى يؤرثها (٣) ... عاقد فى الجيد تقصـارا (٤)

ويقول فى بعض أخلاق نفسه

ألا يا ربمـا عز ... خليلى فتهاونت

ولو شئت على مقد ... رة منى لعاقبت

ولـكن سرنى أن يه ... لموا قدرى فأقلعت

ألا . لا فاسألوا الفتيـ ... ـة ما قالوا وقد قمت

ولعل من بواعث هذا الحزن أن عديا قد نشأ فى غير بلاده ،

(١) ضل (٢) الغار : شجر طيب الرائحة

(٣) يوقدها ويكثر حطبها (٤) التقصار : المخنقة

ملهم ، ولا يفل الحديد إلا الحديد

وإن قلبى ليبـكى قبل جفنى ، حينما أذكر مصارع آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وأولهم الحسين ، ولكنى أشرك شقيقه الحسن فى دمه ؛ على أن زمام الجيوش كثيرا ما يفلت من إدارة الولاة ، خصوصـا فى الدول التى يعظم حظ أفرادها من الحرية كالدولة العربية . وعلى الجملة فما اجتمع النـاس على إمام ، فإن الخروج عليه جريمة فى نظر الشرع

وليس مما يقبل من فضيلة القاضى أن العباسيين قـلدوا الأمويين فى شرورهم ، فإن العباسيين أعظم فى أنفسهم من أن يتأثروا أحدا ، وهم — فى نظرهم على الأقل — بيضة الإسلام وذووه . والدليـل على ذلك تمثيلهم ببنى عمومتهم الطالبيين إلى تمثيلهم بالأمويين

• • •

أما بعد ، فإنى أختم كلمتى هذه ، التى طالت رغم أنفى — بما قاله ابن السـبكى صاحب جمع الجوامع فى أصـول الفقه — باب العقائد — ص ٣٤٧ جـ ٢ :

« ونمسك عما جرى بين الصحابة من المنازعات والمحاربات التى قتل بسببها كثير منهم ؛ فتلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا . ونرى الكل مأجورين فى ذلك، لأنه مبنى على الاجتهاد فى مسألة ظنية ، للمصيب فيها أجران على اجتهاده وإصابته ، وللمخطئ أجر على اجتهـاده ؛ كما يثبت فى حديث الصحيحين أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر . اهـ بنصه

فهل لى أن أطلب من حضرات الباحثين فى هذه الموضوعات أن يعملوا بهذه « العقيدة الإسلامية » وفى شؤوننا الحـاضرة ما يغنينا ، من تبديد تراثنا الخالد على وجه الزمان ؟

عبد الجواد رمضان

فقد كان منزل جده أيوب بن محروف باليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دما في قومه ، فهرب ولحق بالحيرة

ولعل من بواعثه أن زيد بن أيوب قتل في هذا الدم الذي أصابه أبوه في بني امرئ القيس ، فقد قتله رجل منهم بعد أن تعرف عليه واقتص لنسبه ومنزله

ولعل من بواعثه ما كان يراه لدى الملوك — وأنت تعلم أنه عمل لكسرى ، وأنه زار قيصر ، وأنه صديق الملك النعمان — من مآثم وجرائم ودس ومكائد ، اطلع على بعضها وسمع ببعض آخر

ولعل من بواعثه أنه كان رجلا مثقفا أديبا . ومثل هذا يتدبر في أحوال الناس وحوادث الأيام ، ويتبصر فيها ، ويفكر فيمن نزلت بهم . ومثل هذا يكون ذكى القلب مرهف الحس رقيق العاطفة . وأنت تعلم أن الارتحال يكسب الإنسان خبرة ، وتعلم أنه يصقله ويهذبه ، وتعلم أنه يفسح مجال تفكيره ويزيد في معرفته . وأنت تعلم أن عديا كان عالما بالفارسية ، وعالما بالعربية ، فهو قارئ كاتب مطلع على أخبار من تقدموه .

ولعل من بواعثه أن ملك الحيرة كان في أيديهم — في يد زيد أبي عدي — قبل المنذر أبي النعمان، ثم تولاه منهم المنذر. وعلاوة على هذا فإن أهل الحيرة ولوا زيدا أبا عدي على الحيرة وأبقوا اسم الملك للمنذر بعد أن غضبوا عليه وثاروا به. فهم كانوا ملوكا حينا . ثم كانوا شركاء في الملك حينا آخر . ولا يبعد أن يطمح شاب كعدي إلى مثل هذا ، فإذا ما غلب على أمره ، وإذا لم يظفر بما يريد ، وإذا كان ملك الحيرة خالصا للنعمان ، فإن هذا قد يخلف أثرا سيئا في نفس عدي ، يدعه يجتر أفكاره وآماله ، ويجعله ينظر إلى الحياة بمنظار قاتم

يبدو أن حياة عدي لم تكن سهلة ، بل كانت معقدة ، وكانت لا تسير على ما يهوى . ويبدو أنه كان يبذل نشاطا كبيرا ولكن هذا النشاط كانت تعترضه مشقات كثيرة . لقد كان يكافح غير أنه لم يكتب له الظفر ولم تدنه الأيام مما يريد . وتأمل هذه الأبيات :

وعاذلة هبت بليل تلومني
فلما غلت في اللوم ، قلت لها اقصدي(٥)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى
وأبعده منه إذا لم يسدد (٦)

أعاذل من تكتب له النار يلقها
كفاحا. ومن يكتب له الفوز يسعد

أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى
وطابقت في الحجلين مشى المقيد(٧)

أعاذل ما يدريك أن منيتي
إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

بليت وأبليت الرجال وأصبحت
سنون طوال قد أتت قبل مولدي (٨)

فلا أنا بدع من حوادث تعتري
رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد (٩)

تأمل هذه الأبيات فستجد في نفس هذا الشاعر شيئا يريد أن يفصح عنه ، شيئا تعجز الأبيات عن احتماله والإبلاغ عنه ، معنى مخنوقا من طول ما توارت عليه الأيام بالطعن والتنكيل . ثم تأمل هذه الكلمات « الرشاد — النار — الكفاح — الفوز — بليت وأبليت الرجال — فلا أنا بدع من حوادث تعتري » هذه الكلمات القصار دالة على كفاح هذا الرجل في حياته ، وسعيه للفوز والنجح ، ولكنه لقي من الحوادث العنت والقسوة ، وتنته الأيام عما يريد ويأمل

لقد تربى عدي في أحضان النعمة، وخالط الأغنياء والموسرين والملوك ، وكتب للملوك وسفر لهم . وكان بعيد مطارح الآمال، لأنه رأى أباه شريكا في الملك، بعد أن كان الملك له خالصا. وكان قارئا كاتبا ملما بكثير من الأخبار والأحداث . وكان رقيق الحاشية وذا طبع مهذب أنيق . وكل هذا لم يكن من وسائل الترفيه عنه بل كان من العوامل والبواعث التي تبتعث أشجانه وأحزانه ، والتي أضفت على شعره لونا قاتما يائسا

وإذا عرفت أنه فيما بعد قد أصهر إلى النعمان بزواجه من هند ، وأن هذا الزواج لم يكن موفقا للأسباب التي أسلفناها لك،

(٥) عاذلة : لائمة ، غلت : بالغت ، اقصدي : أقلي (٦) يسدد : يوفق
(٧) يزع : يرد عن الغي ، الحجل : القيد ، المطابقة : مشي المقيد
(٨) طال عمره ولقد أتت السنون بعد مولده كثيرة حتى بلى وتهدم
(٩) بدع : عجيب وغريب ، بؤسى : ج بؤس ، أسعد : جمع سعد

وإذا عرفت أن أعداءه لم يهادنوه بل اتخذوا كل ما وقعوا عليه وأولوه تأويلا سيئا للايقاع به . وإذا عرفت أن أعداء عدى أوقعوا الشك فى نفس النعمان حين زعموا أن عديا يرى أنه صنيعته وأنه ولاه ماولاه . إذا عرفت هذا كله عرفت أنَّ حياة عدى من قبل أن يغضب عليه النعمان ، ومن بعد ، كانت شائكة مثيرة محرجة ، لا تدع صاحبها يتنسم راحة ولا يعرف قرارا

كل هذا انعكس على شعر عدى، فخرج حزيناً بائسا شاكيا، وترجم عن نفس لم تجد فى الحياة منافذ لتحقيق الآمال ، فشكت أحوال دنياها فى أبيات حزينة . ولذلك يكرر عدى قوله عن صروف الأيام وأحداثها ، وما توقعه بالإنسان من هم وحزن وقتل للآمال وغبن فى الحقوق . وإذا كان هذا شأنها فعليه أن يرشد نفسه ، وأن يتدبر أفاعيلها ، وألا يغتر بها :

لم أر مثل الفتيان فى غبن(١٠) الأيام يدرون ما عواقبها
ينسون إخوانهم ومصرعهم وكيف تعتاقهم(١١) مخالبها
ماذا ترجى النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاربها(١٢)
يظن أن لن يصيبها عنت(١٣) الدهر وريب(١٤) المنون صائبها

ويقول أيضا :

كفى زاجرا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدى

وعدى قد طوف بكثير من البلاد . وعرف من أخبار الروم والفرس والعرب الشئ الكثير . وهو قد قرأ من الغابرين الأول ، وامتحن الدنيا حتى تكشفت له عن لون قاتم وقد ذكر فى شعره بعض ما عرف . وأظنك سمعت عن قصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب بالثأر . وهذا عدى يقصها علينا فى شعر له ، ويذكر كيف خدعت الزباء جذيمة وأردته ، وكيف قام قصير يطلب بالثأر حتى جدع أنفه بالموسى ، وكيف ساق إليها العيس بما دهاها وأذلها ، وكيف جمل الفرسان فى مسوح الرهبان ، على حين لم تتوقع من قصير هذا أذى ولا ضرا على فرط حذرها من الناس :

أطف لأنفه الموسى قصير ليجدعه ، وكان به ضنينا

(١٠) الأيام تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن فى البيع
(١١) تحبسهم (١٢) غامها (كربه الأيام : غمته)
(١٣) الشقة . يقال أكمة عنوت أى شاقة (١٤) صرف المنون وحادثه

فأهواه لمارنه(١٥) ، فأضحى طلاب الوتر مجدوعا مشينا
وصادفت امرأ لم تخش منه غوائله ، وما أمنت أمينا
إذا ما ارتد عنها ارتد صلبا يجر المال والصدر الضغينا

وقد هلك جذيمة وهلكت الزباء . وهكذا الحوادث والمنايا لا يعفين أحدا من الابتلاء بهن ، وإن كان مجدودا فهن يتركنه إلى حين :

وأبرزها الحوادث والمنايا وأى معمر لا يبتليها
إذا أمهلن ذا جد(١٦) عظيم عطفن له ولو فى طى حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشئ ولو أثرى ، ولو ولد البنينا

واقرأ هذه القصيدة فهى تكشف أيضا عن تشاؤم عدى وشجنه ، وسوء ظنه بالأيام . وتدل على مدى معرفته بما حوله ومن حوله . وتدل على إلمامه بشؤون كثيرة :

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ؟ بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن ؟ أم من ذا عليه من أن يضام خفير ؟
أين كسرى ؟ كسرى الملوك أنوشروان ؟ أم أين قبله سابور(١٧) ؟
وبنو الأصفر ، الكرام ، ملوك الروم ، لم يبق منهمو مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور(١٨)
شاده مرمرا ، وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون ، فباد الملك عنه ، فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق ، إذ أشرف يوما ، وللهدى تفكير
سره ماله ، وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير(١٩)
فارعوى قلبه ، فقال : وما غبطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح ، والملك ، والإمة(٢٠) ، وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

(١٥) مارن الأنف مالان منه دون القصبة
(١٦) حظ
(١٧) سابور الجنود وسابور ذو الأكتاف وهما من الأكاسرة
(١٨) اسم لنهر كبير فى أرض الجزيرة
(١٩) معرض بمعنى متسع ، والسدير نهر بالحيرة وقيل بناء عظيم
(٢٠) النعمة

للبحث صلة

محمود عبد العزيز محرم

الوجودية في نظر التحليل النفسي

للأستاذ شاكر السكري

أثبت التحليل النفسي وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم يزهو نحو المكانة اللائقة به في عالم الطب النفسي ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التي حققها هذا العلم في خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التي تجلت فيها المعرفة الخارقة في كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوي عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكا ذريعا فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التي كانت تغزو البشرية في معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التي خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنساني في مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها في بحثي هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الموضوع الذي سأتناوله

سبق لي وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء في بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلقي بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل في تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم مميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تعدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التي لعبتها في إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر في إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودي) مذهب لحمته التفسخ وسداه الاضمحلال الخلقي ، لأنه نشأ في وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التي خلفتها وتخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير سيء على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشي الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه في هذا الوجود المجنون، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد في ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعي الذي جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه في جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحي الأخرى التي أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسي الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة في ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة في هذه العزلة الكئيبة التي تخلف في نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسي بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من الجماعات العظيمة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التي يصاب بها المجتمع البشري والتي أوردت بملايين من الموائل إلى البغي والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل في أوربا وخاصة في الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،

وكيف أن الجنود الأمريكيين والإنكليز كانوا يحصلون على بغيتهم من الفتيات المذارى بقطعة من (الشكولاته) أو غيرها

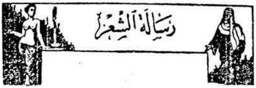
هذه صورة مصغرة لما حدث ويحدث من جراء هذه الحروب الوحشية !

فلا غرابة إذاً من ظهور مذاهب انحلالية تدعو جهدها لإقامة (الدهاليز الأرضية) وهي ملاجئ تمثل فيها أبشع ما تصوره الغريزة من همجية !

كما أنها تدعو ضحاياها للميشة الهمجية كما يصوره لها عقلها الباطن (اللاشعور) وكما ترتضيه غرائزها الجنسية !

ولا يخفى أن العقد النفسية الكامنة فى نفوس معتنق هذه المذاهب تكاد تسيطر سيطرة تامة على العقل الواعى (الأنا) وتشل حركته لكى يبدأ (اللاشعور) عمله المبتر ليجمع شتات الأفكار والذكريات القديمة المكبوتة فيه ، ليخرجها على شكل (أفعال منقوصة) و (عقائد فاسدة) أما الشعور بالنقص الذى يغمر نفوس هؤلاء لم يكن إلا وليد البيئة

بغم ٣٨٠٣١ — شاكر السكرى

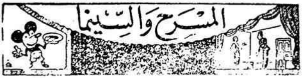


حريق القاهرة

للاستاذ عثمان حلمى

هذى بلادك ذا كر أم ناسى ؟ … أم حرت مابين الرجا والياس ؟!
زحمتك فيها الحادثات ولم تدع … لك غير محض الخوف والوسواس
فوقفت مشدوه الفؤاد كأنما … تجرى مقادرها بغير قياس
وكأنما الدنيا سوى الدنيا التى … عاهدتها والناس غير الناس
ماذا رأيت ؟ – وما لأمرك حائرا … ومن الدموع على المصاب مواسى
أسألت ما تلك الطلول فلم يجب … من ناطق فيها سوى أدراس
وعرفت كيف جنى عليها من جنى … من كل جبار الحفيظة قاسى
فإذا المغانى الغاليات كأنها … لم تغن قبل خرابها بأناس
وإذا الديار الشامخات كأنها … فى العين مهجور من الأرماس
من كل منهار الجدار كأنما … قامت جوانبه بغير أساس
دكت بما فيها وأصبح أهلها … نهب البلى وتصرف الأحراس
وكأنما أيدى المغول تظاهرت … فيها بغير هدى ولا نبراس
فرأيت من بغداد صورة كربها … فى مصر – بل فى قلبها الحساس
فى كل منعرج مكان خانق … أو موحش خال من الإيناس
وبكل ناحية دمار شامل … ومدامع مهراقة ومآس
بالنفوس ويا لها من فتنة … جنت جنون جوامح الأفراس
إبليس أوقدها وأشعل نارها … وأثارها هذا اللعين الحاسى
وكأنه قد كان أودع سره … من قبل صدر موسوس خناس
وكأنه والنار أزار صارخ … أو نافخ فى قسوة وحماس
فإذا بأبواب الجحيم تفتحت … وطغى ركام دخانها الجواس
وتشققت سحب الدخان بلامع … كالبرق نور ظلمة الأغلاس
مابين محمر ومصفرجلا … منها اربداد سحابها المساس
وإذا القلوب لدى الحناجر جاوبت … فى الجوف خفق تقطع الأنفاس
من كل من لم يدر أية حيلة … انجاته إلا الرضى باليأس
أو كل مفتقد صريع قضائه … يبكيه مسكوب الدامع آسى
بطشت به النيران بطشة غادر … كالوحش بالأنياب والأضراس
والقوم إلا الأشقياء لهولها … غشيتهمو سنة من الإبلاس
وقفوا حيارى لا يرون بأعين … أجفانها نمست بغير نعاس
وتيقنوا أن لا نجاة لهول ما … وقعت عليه العين من أرجاس
حتى تداركها المليك بحكمة … محمودة المقبى وعزم راسى
فانجاب عن قلب الكنانة رعبها … وانزاح ما أضنى النهى من باس

عثمان حلمى



كذب فى كذب

سرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك

للاستاذ على متولى صلاح

الأسرة التيمورية فضل على الأدب عريق ، فهم منذ أزمان بعيدة سدنة الأدب فى هذه البلاد، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، ولا يفتأون يضيفون إلى المكتبة العربية الذخائر والكنوز، ويقدمون لها الآثار الجليلة النافعة ... ونحن اليوم بصدد الحديث عن أثر من هذه الآثار التى تغمر الأدب العربى الحديث، وهو تمثيلية (كذب فى كذب) التى تعرض الآن بدار الأوبرا الملكية ، وتنهض بها فرقة المسرح المصرى الحديث

والذى يبدو من وراء سطور هذه المسرحية ، أن الأستاذ الجليل محمود تيمور بك ألفها من جراء أزمة قامت بنفسه بفعل قوم أنكروا ما أسدى إليهم من أياد بيضاء ، وجزوه عليها جزاء سنمار ! ! وأغلب الظن أنه لم يكن يعنى بشخصية (فواز بك) فى هذه المسرحية سوى نفسه ، وإن تعمد إخفاء بعض الملامح وتغيير بعض السمات ! فإن (فواز بك) رجل سمح كريم طيب الخلق ، وتلك خلال نعرفها ويعرفها الناس جميعاً عن الأستاذ محمود تيمور بك ، نهض بما توجبه المروءة وما يقتضيه الخلق القويم الكريم ، فكان جزاؤه العقوق والجحود والنكران ، ولكن الأستاذ محمود تيمور بك — خشى فيما بينه وبين نفسه — أن يحس الناس ذلك ، وغلبه حياؤه المعروف ، فأسرع إلى طمس بعض المعالم لكى ينصرف الناس عنه ! ولهذا فإن الفطن اللبيب يستشعر شيئاً من التناقض فى شخصية (فواز بك) ، ولكن إذا ظهر السبب بطل العجب !

ولا تقوم فكرة المسرحية على هذا المعنى ، ولكنها تقوم على فكرة أن الكذب قد ينتهى إلى الصدق، ورب جد ساقه اللعب ! فهما شاب وشابة تعرف كل منهما إلى صاحبه فى صورة لا تمثل حقيقته، فالشاب فقير يظهر لها الغنى الطائل والثروة العريضة ، وهى كذلك تماماً ! واستمرت العلاقة بينهما على أساس هاتين الصورتين الزائفتين ، ولكن كل خاف سيعلم ! وحبل الكذب قصير ! وإذا بالحقيقة تنكشف لهما ، ولكن الحب كان قد سبق هذه الحقيقة إلى قلبيهما ، وصار هو الحقيقة الواقعة ! فلم يضعف هذا التكاشف شيئاً منه ولم يطفئ سعيره ، بل استمر الشابان على ما بهما من حب قام أول ما قام على الكذب والبهتان !!

هذه هى فكرة المسرحية ، وهى فكرة كما يرى القارىء حسنة ذات قيمة كبرى عند علماء النفس ، ولكنها عند رجال المسرح لا تفى للنهوض بتمثيلية كبرى تعرض على الناس فى نحو ثلاث ساعات ، ولهذا كثرت من حولها الحوادث التى لا تكاد تتصل بها ، وازدحم فيها الأشخاص الذين تستغنى هذه الفكرة عنهم ، ولا تريد منهم عوناً ولا مساعدة ! وانطلقت الألسن بكلام لا تراه هذه الفكرة لها ولا عليها ، ونكنها ترى بينها وبينه (كمال الانقطاع) كما يقول علماء البلاغة !

والمسرحية مكتوبة باللغة العامية ، وقد أخبرنا الأستاذ الكبير مؤلفها أنها ستطبع بالعامية وبالفصحى ، ولكننا نسارع فنشير على الأستاذ الكبير أن يكتفى بالفصحى ... إننا نريد من الأستاذ محمود تيمور بك العضو فى المجمع اللغوى أن يؤدى إلى المسرح المصرى خدمة طالما عنيناها له ، وهى تطويع اللغة العربية وتقريبها إلى العامية ، مع المحافظة على سلامتها وصحتها ، ومع عدم الانحدار بها إلى هذه العامية الكريهة البغيضة الشائهة ... هذا مطلب نرجو أن يحمل مؤونته الأستاذ محمود تيمور بك ، ولقد تحقق الكثير منه على يدى صديقنا الأديب الكبير الأستاذ على أحمد باكثير فلانت لغته كثيراً فى مسرحياته الأخيرة ، وصارت سهلة رقراقة بريئة من التفاصح ، بريئة كذلك من الإسفاف إلى مستوى العامية ... نرجو جاهدين أن يتم الأستاذ الكبير محمود تيمور بك تحقيق هذا المطلب العزيز ، ونرجو جاهدين أن ينأى بجانبه عن استعمال اللغة العامية ، وليس ذلك عليه بعزيز

وكنت أود ألا يكون فى المسرحية مثل هذا الشذوذ الذى وقع فيه الزوج (كريم بك) مع ابنة زوجته (كريمة) فإنه شىء ليس فى طباع النــاس إلا من ابتلاهم الله بالشذوذ والانحراف ، إذ ليس مألوفاً أن نرى الرجل يهيم بابنة زوجته كما فعل كريم بك إلا إذا كانت به لوثة أو كان به انحراف عارم ، ومثل هــذا الانحراف العارم لا يجوز عرضه على المسرح على أنه شىء طبيعى عادى !!

وكان يجمل أن يلقى كثير من الضوء على علاقة (فوازبك) بمن يحيطون به ، فإن هذه العلاقة غامضة كثيراً . .

أما عن التمثيل والإخراج فالحق أن أعضاء هــذه الفرقة قد شبوا عن الطوق كثيراً ، وثبتوا على خشبة المسرح ثباتاً جيداً ، فأذكر منهم — على سبيل المثال — الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى إذ يقوم بدور (فواز بك) فى دقة وإلمــام تام وتؤدة ، وإن كان يبدو أصغر ممــا ينبغى ، والأستاذ عدلى كاسب فقــد اتسم بيانه النفسى حتى استطاع أن يلعب أدواراً عديدة يبلغ فى كل منها شأواً بعيداً ، فقد رأيناه فى (مريض الوهم) ورأيناه فى (مسمار جحا) ثم رأينــاه اليوم فى دور (العمدة) عمدة حقاً ولــكنى أرجو ألا يسرف فى المبالغة ! وأن يحد قليلا من حركاته الجسمية ، وأن يمضى إلى التليفون سريعا بل واثبا عندما يدعوه لحادثة قتل ، وألا يبطئ ويتثاقل كما رأيناه !!

ولست أستطيع أن أذكر الممثلين واحدا واحدا وهم ثمانية عشر ممثلا وممثلة وإلا ضاقت صفحات الرسالة دون هذا الغرض ! ولكنى أنوه بصفة خاصة بالآنسات زهرة العلى بكير ، وســناء جميل ، وبالأساتذة نور الدمرداش وأحمد الجزيرى

أما الإخراج فلى عليه ملاحظة أرجو أن يشق الأستاذ الكبير زكى طليمات ما بنفسى منها ، وإنى لأتوجه إليه متسائلا مستفيدا :

كيف يتفق أن يقع فى (البار) — وهو محل عام يغشــاه الناس جميعا — أقول كيف يتفق أن يقع فيه العناق والقبلات أمام الخدم وفى عرضة للداخلين والخارجين ؟ ولماذا لا يكون هذا (البار) جانبيا ليمكن أن تقع هذه الأشــياء بمبعدة عنه ؟؟ وهل عجزت الحيــل المسرحية عن إيراد ما يصح معه هذا العمل ؟؟ هذا — وممــا يقتضيه الحق أن أذكر أن الأســتاذ ينفخ فى مسرحياته حياة زاخرة فيــاضة ، ويملؤها بالصــور والحركات والإشارات التى تجعلها تموج بالحياة النابضة ، وعندى أنه يتمم أعمال المؤلفين بهذا الذى يفعله ، وليس المخرج الحق من ينقل التأليف نقلا آليا فوتوغرافيا ، ولكنه من يضيف إليه ثروة فوق ثروته ، ويمده بقوة فوق قوته ، وهذا ما يفعله مخلصا الأســتاذ زكى طليمات

على متولى صلاح

الكتب

الصعلكة والفتوة في الإسلام

تأليف الدكتور أحمد أمين بك

للأستاذ عبد العزيز محرم

نحن في حاجة إلى مثل هذه الكتب أو الكتيبات التي ترسل أضواء كاشفة على بعض المعاني التي ورثناها عن القرون الماضية، فهذه المعاني هي الميراث الدائب في دمائنا، يوجهنا ويرشدنا ويوحي إلينا. وكل أمة تعرف ما اختلج في ضميرها، وما استقر في أعماقها، وما يدفعها دائماً إلى أنواع معينة من السلوك، تسترشد في طرائق الحياة الصحيحة، لأنها بتجربتها على مدرجة الزمن وانصرام الأعوام، قد عرفت الشيء الكثير من عوامل الرقي وأسباب الانهيار

ونحن الآن في زمن نتلفت فيه كثيراً إلى الماضي نسترشده ونستلهمه، ونسأله العون والتوفيق. وإذا عرفنا معانينا الموروثة، وأخلاقنا الكريمة، ومثلنا الرفيعة، وما طرأ على كل ذلك من عوامل تقدم أو من عوامل نكوص، استطعنا أن نتبصر في موقفنا الراهن وحياتنا الحاضرة

وليس على وجه التاريخ أمة عاشت منقطعة عن ماضيها، بل الحياة دائماً مستمدة من ميراث الماضي، ومن ضرورات الحاضر، ومن آمال المستقبل. والأمم والأفراد في هذا المجال سواء. واليوم وليد الأمس. والغد وليد اليوم وحفيد الأمس. والأمة التي تتنكر لماضيها لا تتمكن من السير ولا تتمكن من الرقي. وقد تندفع إلى مهاوي الضلال والدمار

على هذا الأساس نرحب بكتاب «الصعلكة والفتوة في الإسلام» لأنه يكشف لنا عن بعض تقاليدنا وآدابنا ومعانينا التي ورثناها عن أجدادنا السالفين، ولأنه يضع أيدينا على مواضع الرشاد ومواضع الخيبة في حياة هؤلاء الأجداد، ولأننا بهذا نستطيع أن نرسم لأنفسنا طريقاً لاحباً، يوصلنا إلى أهدافنا، ويدفعنا إلى غاياتنا، ويستشرف بنا إلى حياة رفيعة مأمولة، ويخلصنا من أمر ما نحن فيه الآن من انحلال وضعف وتخاذل وذلة

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك معاني الفتوة. فقال إنها الشباب. وقال إنها القوة. وقد تلونت الكلمة بلون البيئة، فإن إنساناً قد يرى في الفتوة أنها كرم وشجاعة كطرفة ابن العبد، وقد يرى غيره أنها العقل والفصاحة والرزانة كزهير، وقد يرى ثالث أنها كتمان السر وعدم البوح به كمسكين الدارمي

ويرى الدكتور أن الفتوة أثر الغنى، وأن الصعلكة أثر الفقر، ومن فتيان الجاهلية طرفة بن العبد وامرؤ القيس. ومن صعاليكها السليك بن السلكة، وعروة بن الورد، والشنفرى، وتأبط شرا. وهؤلاء كانوا فقراء صعاليك. وطرفة وامرؤ القيس كانا غنيين من الفتيان

واستعرض الدكتور مثل الصعاليك ومثل الفتيان استعراضاً تاريخياً تحليلياً من العصر الجاهلي، إلى عهد الخلافة الرشيدة، إلى العهد الأموي، إلى العهد العباسي، إلى أزمنة المماليك، إلى العصر الحاضر في مصر. وبين الآداب الرفيعة والتقاليد الرائعة للفتوة والصعلكة. وبين كذلك ما لحقهما من ضمور وهزال وشوائب أضعفت من أثرهما، وقللت من شأنهما في بعض الأوقات

وقد استشهد بكثير من الأشعار في العصر الجاهلي على ما يقول. أو هو قد استخلص كثيراً من معلوماته في هذا الموضوع من أشعار الجاهليين. فذكر شعراً لطرفة. وذكر شعراً لتأبط شرا. وذكر شعراً للشنفرى. وذكر شعراً لعروة ابن الورد

وعروة بن الورد هو المثال الرفيع للصعلكة الجديرة بالتقدير والاحترام. إذ كان اشتراكيا يكل ما تحمل الكلمة من معنى. وكان يغير على الأغنياء البخلاء ليرد أموالهم على الفقراء المحاويج.

فهو لم يكن يغير لغرض ذاتى ؛ بل لغرض تهذيبى. وآخر اجتماعى. الغرض التهذيبى أن يؤدب هؤلاء الأغنياء الذين يضنون بأموالهم ورفدهم على المحتاجين والمساكين . والغرض الاجتماعى أن يعول كثيرا من الذين يعجزون عن الكسب لمرض أو شيخوخة أو عجز . أما هو نفسه فلم يكن يظفر من غنائمه ولا من نهبه بأكثر مما كان يظفر به شيخ قعيد أو عاجز ضرير

« فهو فقير يتحسس أخبار الأغنياء، فمن وجده كريما سخيا خلاه ، ومن وجده شحيحا بخيلا غزاه ، وفرق ما جمعه على زملائه بالعدالة لا يرضى بشئ لنفسه إلا برضاهم . فمثله مثل برناردشو فى إحدى رواياته إذ هاجم قوم سيارة فخمة يركبها أغنياء مرابون . فقال الهاجمون ، نحن سراق الأغنياء ، وأنتم سراق الفقراء . وكما فعل تولستوى إذ كان غنيا واسع الغنى ، فوزع ثروته على فلاحيه وعاش فقيرا . غاية الأمر أن عروة هذا سبقهما فى النبل بنحو ألفى سنة

« والخلاصة أننا نرى فى الحياة الجاهلية البدوية نوعين متميزين من الشبان : (أبناء الذوات) ، قد يجتمعون ويتخذون لهم محلا مختارا ، ويعيشون عيشة إباحية ، فيها خمر ، وفيها غناء ، وفيها نساء . وهم مع ذلك كرام ، يضيفون من نزل بهم ، ويغدقون عليهم من خيرهم . وتقابلهم طائفة أخرى من أبناء الفقراء يسمون الصعاليك ، يشاركونهم فى الكرم والاشتراكية ، ويخالفونهم فى أن حياتهم ليست حياة دعة واستمتاع ، ولكن حياة غزو وسلب ونهب ، وتوزيع المال على أمثالهم . يضاف إلى ذلك فرق آخر وهو أن الفتيان يعطون ما يعطون وهم مترفعون ، والصعاليك يعطون ما يعطون وهم يعتقدون أنهم مع زملائهم متساوون . وإن شئت فقل إن الفتيان يعطون ما يعطون عطفا وتفضلا ، والصعاليك يعطون ما يعطون أداء لما يرونه واجبا »

وفى عهد الخلافة الرشيدة ارتفع الدين بمعنى الفتوة ، ورفع الإماء والعبيد إلى مقام الأحرار ، فسيدنا إبراهيم فى حجاجه قومه فتى ، وأهل الكهف فتية آمنوا بربهم، والعبد والأمة ليسا عبدا ولا أمة ، إذ (لا يقول أحدكم عبدى وأمتى ولكن ليقل فتاى وفتاتى) ولا يجوز أن تكرهوا (فتياتكم على البغاء)

وعلى العهد الأموى نجد نكوصا إلى فتوة امرئ القيس وطرفة بن العبد . وهى فتوة الخمر واللهو والعكوف على الغناء . وقد يكون فيها إكرام الناس وقرى الضيف وإيواء الغريب . وقد يكون من هؤلاء الفتيان اللاهين من يخرج للصيد والطرد بعدده وآلاته ، وهذه الفتوة الموروثة جاهليا ، المهموثة أمويا ، تأثرت بما أخذه الفتيان عن الفرس من اللعب بالبندق، وهو كرات صغيرة من طين أو حجر أو رصاص يرمى بها من قوس لصيد طير أو نحوه . ثم حشيت بالبارود . ومن هنا سميت البندقية

وكما كانت الفتوة فى العهد الأموى متأثرة بفتوة طرفة وفتوة الفرس ، كذلك كان بعض ألوان الفتوة فى العهد العباسى . ونجد لونا آخر وهو فتوة المتصوفة ؛ وفى هذا يقول محيي الدين بن العربى :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها مقدما عند رب الناس والناس
إن الفتى من له الإيثار تحلية فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهوال قوتها لكونه ثابتا كالراس فى الراس
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله عن المكارم حال الحرب والباس
انظر إلى كسره الأصنام منفردا بلا معين . فذاك اللين القاسى

وفى البيت الأخير إشارة إلى فتوة إبراهيم عليه السلام

وكذلك نجد فى العهد العباسى لونا ثالثا من الفتوة وهو فتوة العيارين والشطار ، وكانت تستخدم فى السلب والنهب. وثمة لون رابع من الفتوة ، وهو الفتوة المنعقدة بين جماعة لسبب ما كقربة ، وكما حدث من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى عهد النبوة الكريم. وهناك فتوة الإسماعيلية كالحسن الصباح وفتيانه ، وأيضا فتوة الحروب الصليبية كصلاح الدين الأيوبى ، وأسامة بن منقذ ، ونور الدين محمود بن زنكى

وقد تأثرت الفتوة فى العصر العباسى بفتوة الفرس وفتوة الترك ، علاوة على تأثرها بالفتوة العربية ، وعلاوة على تأثرها بالعناصر الدينية

ومن ميزات الفتوة أنها « تتضمن الشجاعة ، والإتيان بأعمال البطولة ، والكرم والسماحة والعفو عند المقدرة ، واحترام المرأة ، ووفاء العهد وحماية الضعفاء » ، وكذلك يكون الفتى

معروفاً بالسخاء والشجاعة، والزهد والعبادة، وإطعام الطعام للمساكين، وإكرام العلماء والفقهاء، وحسن السيرة وصدق الحديث. قليل الكلام، لا يسمع منه أحد كلمة كذب ولا فيها. لا يخوض في كلام لا طائل تحته، آمر بالمعروف ناه عن المنكر»

وأنت ترى أن هذه الصفات الكريمة والأهداف النبيلة لم تتحقق في كل ألوان الفتوة التي ساقها الدكتور أحمد أمين بك، وهي إن تحققت في الفتوة الدينية، أو الفتوة الصوفية، أو فتوة صلاح الدين وأسامة بن منقذ، فهي قطعاً لم تتحقق في فتوة العيارين والشطار، ولا في فتوة العابثين اللاهين

ولعله كان من الأجل أن تحدد ألوان الفتوة بالنظر إلى أهدافها، فقد يهدينا هذا إلى معرفة الفتيان حقيقة هؤلاء الذين يجمل بهم وبنا أن نذكرهم دواما ليكونوا أمثلة للهداية والنور والحق الطهور. وبهذا نحفظ مقاماتهم، ونذكرهم عند الاقتران بهذا الخليط العجيب من الفوضى والإباحة التي انساق إليه كل لاه عابث مغلوب. وبهذا نضع كل إنسان في مكانه من الفتوة الصادقة حتى نربأ بصلاح الدين وأسامة بن منقذ ومحي الدين بن العربي عن دنس قرنهم بالعيارين والشطار في إطار الفتوة، وحتى نحفظ لهذا الاسم الجليل معناه الجدير بالاحترام والتقدير

ولم يذكر المؤلف فتوة المسلمين الأولين في العهد الرشيد التي تمثلت في فروسية الفاتحين كأسامة بن زيد، وخالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب

ويبدو أنه لم يكن من اللازم، في هذا العصر الرشيد على الأقل، أن يكون الفتى في سن الشباب. والمثال على ذلك قصة إبراهيم التي كسر فيها الأصنام، والتي أحرقوه بسببها، والتي سموه فتى فيها. ومن سياق هذه القصة — كما وردت في سورة الأنبياء — نعرف أنها بعد بعثته ونبوته، أي بعد الأربعين، وهي السن التي يرسل فيها الرسول إلى قومه. وليس من السائغ أن نقول إن الإنسان نبيا أو غيره، في هذه السن، يكون في شبابه. بل هذه فاتحة الكهولة التي يستحصف فيها العقل وتصفو النفس

وحين ننتقل إلى العهد الأموي نجد مؤلفنا الجليل لم يذكر الخوارج. وقد كانوا من الفتيان حقا وصدقا. وقد وهبوا كل ما يملكون لمبدئهم الذي رأوه حقا وصوابا

ولم يذكر أيضا فتوة أشياع علي والحسين، مع أنهم خرجوا على ملك بني أمية المغصوض راجين رد الحق إلى نصابه ومصادره، ولقوا في سبيل ذلك القتل والتمثيل والتشريد

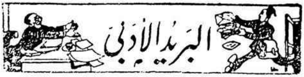
وذكر الدكتور المؤلف فتوة المماليك؛ ولكن يهمنا نحن المصريين هذه الفتوة التي تجلت في موقفين رائعين: الموقف الأول هو انهزام الصليبيين أمام المماليك والمصريين في المنصورة. والموقف الثاني هو تفرق التتار في عين جالوت أمام المماليك والمصريين أيضا. وهاتان الوقفتان حفظتا العالم الإسلامي من الضياع بفضل فتوة المماليك الرائعة

وعرض المؤلف للإخوان المسلمين، وهم جماعة أكثر أتباعها من الشبان المسلمين. بدءوا أمرهم بتعليم الشبان الفضائل من طريق الدين. والحق أن الناظر إليهم كان يراهم أميز من زملائهم من حيث القوة والرجولة والتخلق بالأخلاق الحسنة. ثم دعتهم الظروف المحيطة بهم أن يتحزبوا. فتظاهروا. وأيدوا الحكومات أحيانا وعارضوها أحيانا تبعا للتطلبات. ثم تطوروا تطورا آخر، فكان منهم محاربون، وكان منهم فدائيون

ومن رأي الدكتور أن الإخوان ضعفوا عما كانوا عليه. وفي رأيه أن قتل الشهيد حسن البنا كان جزاء وفاقا لما فعل الإخوان من قتل المرحوم النقراشي. وقد تكون للتاريخ كلمة غير هذه الكلمة حين تنجاب الحجب عن الألغاز الاستعمارية والأحاجي السياسية، وحين يعرف لماذا شرد وعذب واعتقل شباب مسلمون لا هم لهم إلا نصرة دينهم على المستعمر الغاشم، وإلا نصرة دينهم على الانحلال والرأسمالية البغيضة

لقد كانت رحلة شائقة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث أفدت منها كثيرا، واستمتعت كثيرا، وعرفت ما لم أكن أعرف من وجوه الكرامة والرجولة والفتوة لدى هؤلاء الأماجد الأبطال الذين تنطق الدنيا ولا تنطق مصايحهم. فشكراً المؤلف الفاضل. وشكراً للفرص الواتية

محمود عبد العزيز محرم



من أين لك هذا ؟

قد يكون من المفيد — بعد ما تبين لأولي الأمر منا أي ضرورة ملجئة، وأي مصلحة عامة تحمل حتما سن مثل هذا القانون — أن نذكر أن الحكومة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا، فطنت إلى هذا القانون، فنادى به محمد صلى الله عليه وسلم زعيم الإصلاح، ومعلم الإنسانية الأول، وآمن به من بعده إيمانا لا يتسرب إليه الشك. والتاريخ يحدثنا عن غير واحد من علية القوم ووجهائهم ممن حوكموا بمقتضى هذا القانون، فهذا خالد بن الوليد الذي اقتعد غارب المجد، وتسنم ذروة الشرف، وأبلى في الدفاع عن الإسلام أحسن البلاء، لم يغن عنه كل أولئك أمام الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحين أحس أنه أثرى فجأة — وكان عاملا له — عزله من الولاية ثم استجوبه وحقق معه، ورد إلى بيت المال بعض أمواله

روى الطبري أن خالد بن الوليد إثر عودته من «قنسرين»، بعد أن أظفره الله عليها، وأتاه خيرا كثيرا عليه، وفدت عليه الوفود، وكان ممن وفد عليه الأشعث بن قيس، فأجازه خالد بعشرة آلاف. وسرعان ما أنهى إلى الخليفة العادل الساهر هذا النائل الغمر، فأرد إلى أبي عبيدة (أن يقيم خالدا، ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته، حتى يعلمهم من أين إجازة ابن الأشعث ؟ أمن إصابة أصابها ؟ أم من ماله ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف، واعزله على كل حال، واضمم إليك عمله) فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس، وقام البريد. فقال: يا خالد! أمن مالك أجزت بعشرة آلاف ؟ أم من إصابة؟ فلم يجبه، حتى أكثر عليه — وأبو عبيدة ساكت لايقول شيئا — فقام بلال إليه فقال: إن أمير المؤمنين أمر بكذا وبكذا فيك، ثم تناول قلنسوته، فعقله بعمامته وقال: ما تقول؟ أمن مالك؟ أم من إصابة؟ فقال: لا! بل من مالي، فأطلقه، وأعاد إليه قلنسوته، وعممه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونخدم موالينا. وعندما قدم خالد على عمر المدينة، بعد عزله، شكاه إلى المسلمين وقال له: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك غير مجمل في أمري يا عمر.. فقال عمر: من أين هذا الثراء ؟ قال خالد: من الأنفال والسهمان، وما زاد على الستين ألفا فلك. فقوم عمر عروضه، فخرجت إليه عشرون ألفا، فأدخلها بيت المال، ثم قال: ياخالد! والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء.

وكذلك وقف عمر بن الخطاب موقفا مشابها من والي مصر عمرو بن العاص، فقد كتب إليه: «أما بعد، فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد، وعهدي بك ولا مال لك، فاكتب إلي من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه»

فأجابه عمرو «.. وإني أعلم أمير المؤمنين أنني ببلد السعر فيه رخيص، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة، ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك، فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها»

على أن عمر لم يجد في هذا مقنعا، فأرسل إلى عمرو محمد بن سلمة ليشاطره ماله. وعندما قدم رسول عمر إلى عمرو قدم إليه أصنافا كثيرة من الأطعمة، فرفض أن ينال منها شيئا، فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟ فقال: لو قدمت إلي طعام الضيف لأكلته، ولكنك قدمت إلي طعاما هو تقدمة للشر. نح عني (أكالك) طعامك، وأحضر إلي مالك، واكتب إلي كل شيء هو لك، ولا تكتمه. فشاطره ماله أجمع، حتى بقيت نعلاه، فأخذ إحداهما وترك له الأخرى. هذا وغيره كثير وفي هذا بلاغ

وصنيع عمر هذا يعد من قبيل الاحتياط والتورع، ولم يكن عن خيانة من خالد أو عمرو، فإنهما أعز وأكرم من التماس الغنى والثراء مما لا يحل، يدل لهذا كتاب عمر إلى عمرو بن العاص «والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة، وآنست من نفسي ضعفا، وانتشرت رعيتي، ورق عظمي، فأسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط، والله إني لأخشى لو مات جمل ناقص

عملك ضياعا أن أسأل عنه »

وورد فى كتاب من عمر و امر « معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنيئة ، والرغبة فيها »

أما موقف سيدنا خالد فيشهد لما أشرت إليه ما جاء على لسان أمير المؤمنين نفسه ؛ على ما مر بك ، والله ولى التوفيق

رياض عباس

عبد المنصف محمود باشا

كان لتعيين عبد المنصف محمود باشا وكيلا لوزارة الداخلية وقعه الجميل فى نفوس أصدقائه ومحبيه . وإنى وإن كنت ممن لم يتشرفوا بتلك الصداقة الشخصية ، إلا أن للرجل فى نفسى مكانة أدبية من حق الرسالة على أن أنوه بها ، على سبيل التهنئة الخالصة لوجه الثقافة والأدب

ولقد أشرت فى تقريظى لكتاب « السنوسية دين ودولة » للدكتور فؤاد شكرى إلى رجالات مصر الذين أسهموا فى الجهاد الليبى ؛ وذكرت من بينهم عبد المنصف محمود الذى كان ضابطا فى ذلك الوقت

وعسى ألا يغيب من الأذهان أن عبد المنصف محمود — الذى كان من قبل مديراً لمصلحة خفر السواحل ومصائد الأسماك — من أدباء الإسكندرية المدودين ، ومكانه فى ثقافة عروس البحر لا يزال كالدر اللامع فى جيد الأدب الرفيع

ولم تكن مشاغل الوظيفة لتصرفه عن التأليف والبحث ، فوضع سلسلة من الكتب القيمة عن بحيرات مصر ، ضمنها دراسات تاريخية واجتماعية وأدبية ، وجمع فيها بين التقرير والتقدير ، ولما كنت قد وضعت سنة ١٩٣٦ كتاب « إدكو » ودرست فيه كل ما يتعلق ببلدة إدكو ، فإن كل دراسة تتصل بها مما يدفعنى إلى التلهف عليها ، لهذا كنت أتابع عبد المنصف محمود باشا فى كتابه « على ضفاف بحيرة إدكو » كما أنى اشتركت فى المعركة الفكرية بين الرأى القائل بتجفيف تلك البحيرة أو الإبقاء عليها ، وأدليت برأيى على صفحات الأهرام

أما عبد المنصف محمود ، وهو الشاعر الحريص على الجمال ، فقد كان يرى عدم التجفيف لتظل البحيرة كغيرها من البحيرات « ترصع جيد مصر » ، ومما جعلنى أخالفه فى هذا الرأى ما انتهت إليه الحالة الاقتصادية فى إدكو من تدهور أدى إلى انهيار اجتماعى عام ، ولولا ذلك لحرصت أكثر منه على بقاء هذه البحيرة الجميلة وهى أول ملهم لى فى حياتى الأدبية ، حتى لقد كانت قصيدتى « البحيرة الناعسة » أول ما نشر لى فى الأهرام وأنا طالب بالسنة الثالثة الثانوية سنة ١٩٣٣

وعسى ألا يكون المنصب الجديد بعوق شاعر البحيرات من المضى فى بحوثه وأشعاره ، وأمل الرسالة فى الباشا كبير ألا يحرمها من نفحاته ، وكيف لا يفعل وهو تلميذ صاحب الرسالة ؟ ولعلى بهذا أن أكون قد اشتركت بتقديم هذه التحية مع المهنئين

محمد محمود زيتون



جندى قبل الاعدام

عن الانجليزية

جلس مستر أوين فى غرفته الخاصة بداره الكبيرة فى جرين موتتن بالولايات المتحدة، وكان كاسف البال، شديد الكآبة؛ وإلى جانبه قسيس القرية يواسيه ويخفف عنه

بينما مكثت لوسى الصغيرة فى ركن الغرفة تنصت إلى حديث الرجلين دون أن تلفظ ببنت شفة

وتكلم مستر أوين قال: كنت أحسب حين وهبت ابنى لهذا الوطن أنى فعلت من أجل بلادى ما لم يفعله أى رجل آخر فى أمريكا على سعتها، إذ ليس لى ولد غيره؛ ولكن هيهات لم نعش طويلا، لأن ولدى المحبوب غلبه النعاس فنام دقيقة واحدة فى نوبة حراسته بالمعسكر، وهو الذى لم يغفل لحظة عن أداء واجبه وكان مثالا للنشاط الموفور والهمة العالية ...

صحيح أنه استسلم للكرى دقيقة، واستحق حكم الإعدام الذى صدر عليه. لكن ليتهم رحموا شبابه، وراعوا حداثة سنه، فانه لم يجاوز الثامنة عشرة ... من يصدق هذا

إنهم يتهيئون لرميه بالرصاص؛ لأن هذا التعس نام بضع ثوان، ولم يظل ساهرا الليل بطوله يراقب قدوم جيوش الأعداء المهاجمين. إنه الآن فى السجن ينتظر تنفيذ العقوبة. فيا ترى كيف يقضى الوقت إلى أن تحين ساعته؟

وأثرت لهجة الرجل فى نفس القس. فقال يروح عنه: دعنا نأمل رحمة الله ... لماذا تيأس!

قال: نعم. نعم. فلنبتهل إلى الله ولنضرع إليه إنه غفور رحيم.

كان «بنى» قبل التحاقه بالجندية يقول لى: سأعيش يا أبى خجولا أمام نفسى وأمام الناس إذا أنا لم أستعمل ذراعى القويتين المفتولتين من أجل بلادى عندما تقع الحرب ويدعونى الوطن. وكنت أقول له: إذهب يا ولدى، إذهب فى حراسة ربك، وها قد حرسه الله!

ونطق مستر أوين بالعبارة الأخيرة فى بطء، كما لو كان على رغم إيمانه قد ساوره الشك فى رحمة الله!

فقال القس: تشجع يا صديقى تشجع، ولا تقنط من رحمة الله!

وأصغت لوسى لهذا الحوار، وهى فى موضعها منكسة الرأس، بالغة الأسى، ممتقعة اللون، لما أصاب أخاها «بنى»؛ لكن لم ترسل عيناها دمعاً ولم تسمح لهمها وكدرها أن يشيعا على محياها، وكانت على حداثة سنها تقوم بنصيب موفور فى إدارة شؤون البيت؛ ولذلك هبت واقفة حين سمعت طرقاً خفيفاً على باب «المطبخ»؛ وأسرعت وفتحت الباب ووجدت رجلا يقدم إليها خطابا.

وحملت الخطاب إلى أبيها وهى تقول:

— إنه منه ... من أخى ...

وكان الخطاب وصية ميت أو رسالة من القبر! فقد تطلع فيه مستر أوين دون أن يجسر على فض غلافه. وارتجفت أصابعه وهو يدفعه إلى القس كما لو كان طفلا لا حول له ولا قوة

وفض القس الغلاف وقرأ ما يلى:

أبى العزيز:

— عندما تصلك هذه الرسالة أكون فى عالم الأبدية! فالموت ينتظرنى عند باب السجن. ما أشد ما أخافنى هذا الخاطر وروعنى! على أنى فكرت كثيراً وقلبت الأمر على كل الوجوه حتى لم يعد الإعدام مخيفاً فى نظرى ... لقد احترموا آخر رغباتى فى الحياة وسوف لا يضعون الأغلال فى يدى ولا العصابة على عينى، وعلى ذلك سألقى الموت كما يلقاه الرجل الشجاع الباسل، وفى هذا تعزية كبرى

غير أنى كنت أرجو أن تقضى الأقدار بغير ما قضت، وأن تكون ميتتى أشرف من هذه الميتة. كنت أود لو أموت شهيداً فى ساحة الوغى وحومة النضال مدافعا عن بلادى وفى

سبيل المجد ، أما أن أعدم رميا بالرصاص كالكلاب وبتهمة إهمال الواجب العسكرى وهو شئ يقارب الخيانة ، فذلك ما يؤلمنى أشد الألم . ولا أدرى كيف لم تقتلنى هذه الفكرة قبل أن تقتلنى بنادقهم ؟

أبى : سوف لا يكون فى حادثتى ما يخدش اسمك أو يمس شرف أسرتك . سأعترف ها هنا بكل شئ ، وعندما أفارق الحياة آمل أن تشرح للدانى وأصدقائى ما وقع . أما أنا فرجل ميت والموتى لا يتكلمون

تذكر أبى كنت قد وعدت أم صاحبى « جى كار » أن أحمى بولدها الذى هو زميلى فى الفرقة ، فلما سقط « جى كار » مريضا بذلت كل جهودى من أجل راحته والأخذ بيده حتى عاثل للشفاء . على أنه قبل أن تجتمع له قواه وترد إليه صحته صدرت الأوامر لفرقتنا بالتقدم إلى خطوط النار . وناء « جى » بحمله فحملته عنه فضلا عن حقائبى وقطعنا شوطا بعيداً ، وانقضى النهار وأخذ الرجال يشعرون بالتعب وخارت قوانا جميعا . أما « جى » فقد عجز عن مواصلة السير ولم يمش إلا بعد أن مددت إليه يد المساعدة

وحين شارفنا المعسكر كنت فى أشد حالات التعب وأحوج الرجال إلى الراحة . لكن شاءت الصدف أن تكون نوبة الحراسة تلك الليلة لزميلى « جى كار » ، ورأيته محطما يكاد يقتله الضعف والتعب ، فتقدمت للحراسة عنه ونسيت آنى فى تلك اللحظة كنت أشد منه ضعفاً وإعياء ، وصدقنى يا أبى أنى كنت عندما غالبنى النوم على حال من التعب والإعياء بحيث لو أطلقت على رأسى رصاصة لما فتحت عينى ولا حركت ساكنا

على أنى مخطئ وخطئى أنى لم أفطن لحالتى إلا متأخرا جدا .. وعندما وصل القس إلى هذا الحد من القراءة قاطعه مستر أوين بهذه العبارة :

شكرا لله . إن ابنى يموت شهيدا وليس خائنا ، وعاد القس يقرأ هكذا :

قيل لى اليوم إن إعدامى تأجل يوما واحدا بسبب ظروف طارئة ، وهذه فرصة لكى أكتب إليك كما يقول رئيسى الطيب القلب . اصفح عنه يا أبى فإنه لم يفعل سوى أن قام بواجبه ، وقد كان يود بإخلاص أن ينقذنى لكن القوانين العسكرية صارمة ولا حيلة فيها . كذلك أرجو ألا تضع مسئولية إعدامى على رأس « جيمى كار » فإن المسكين منكسر القلب شديد الأسف لما حل بى . وقد ألح عليهم أن يأخذوه فدية عنى ولكن أحدا لم يعر طلبه التفاتا بطبيعة الحال

أبى ، لا أجسر أن أفكر فى أمى ولا فى أختى لوسى فياليتك تواسيهما وتجفف دمعهما . وليتك تقول لهما إنى أموت شجاعا باسلا وإنه عندما تنتهى الحرب سينسيان العار الذى سيلحق بى الآن

فى هذا المساء عندما تغرب الشمس سوف تمر بخاطرى صورة من صور السعادة الضائعة فأرى قطعان الماشية تمشى الهوينا من المرعى إلى الحظيرة، وأرى بعين الخيال شقيقتى لوسى فى الشرفة واقفة تنتظرنى وتلوح لى حين ترانى ؛ على أنها لن ترانى ولن أعود !

« بنى »

* * *

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة فتح باب الشرفة الخلفية بمنزل مستر أوين وانسابت من بين مصراعيه صبية صغيرة وهبطت الدرج الذى يؤدى إلى الطريق

وكان الشاهد يحسبها لسرعتها طائرة لا ماشية، وكانت تهرول إلى جهة معينة لا تلتفت إلى يمين أو شمال، لكنها ترفع رأسها بين حين وحين شطر السماء ويداها منقبضتان كأنها تتضرع إلى ربها وتبتهل .

وبعد ساعتين طويلتين قضتهما هذه الصغيرة تسير وحدها فى ظلمة الليل ووحشته وصلت إلى محطة ميل . وقبل أن تشرق الشمس كانت لوسى فى العاصمة تسرع الخطى إلى البيت الأبيض الذى يقيم فيه رئيس الجمهورية .

وكان مستر لنكولن (رئيس الجمهورية العظيم) قد دخل غرفته توا وبدأ يلقى نظرة على الأوراق المكدسة على مكتبه وأقبل يفحصها وينظر فى شؤون دولته . وبدون جلبة فتح الباب

بهدوء وانسابت لوسي إلى الداخل وخطت نحوه ثم وقفت قبالته بخشوع ورهبة: عيناها إلى الأرض ويداها منقبضتان

ووقع نظر الرئيس عليها ولم يبد عليه أنه غضب أو تململ حين فوجئ بدخولها، بل ابتسم لها مترفقاً وخاطبها بصوت مشجع، قال:

— نعم يا صغيرتي؛ ماذا تريدين في هذا الوقت المتأخر؟

— أريد حياة «بني» يا سيدي

— بني؟ من هو بني؟

— أخي. إنهم يرمونه بالرصاص بسبب نومه في نوبة حراسته

فعاد مستر لنكولن إلى الأوراق التي أمامه ينظر فيها وهو يقول:

— آه، لقد تذكرت الآن. إنه نام في أحرج الأوقات وأخطرها، واعلمي يا صديقتي الصغيرة أنه اختار لنومه ساعة تتوقف عليها مصائر بلاده وحياة ألوف من الجنود. وهذا استهتار شنيع

قالت:

— وهكذا يقول أبي لكن «بني» المسكين كان متعباً جداً يا سيدي، وكذلك كان «جي» وقد قام أخي بعمل رجلين ولم تكن تلك الحراسة حراسته. كانت النوبة على «جي» ولكن «جي» كان مريضاً وعندما حل أخي محله لم يكن يفكر في نفسه ولا في تعبه ونسي أنه خائر القوى

ورفع الرجل العظيم رأسه من بين الأوراق وعاد ينظر إلى أثرته الصغيرة وقال:

ما هذا الكلام يا طفلتي؟ أنا أكاد لا أفهم شيئاً. تعالي إلى جانبي وقصي قصتك

وبمثل العناية التي يبذلها دائماً في مختلف شؤون الدولة. أقبل الرئيس لنكولن يفحص هذه الدعوى، ومشت لوسي إليه فربت على منكبها وحول بيده وجهها إليه، وأحست بعطفه عليها فردت قصتها وقدمت إليه خطاب أخيها لأبيها فأخذه منها وألقى عليه نظرة ثم قرأه بعناية، وحالما انتهى منه أمسك قلمه وخط بسرعة بضعة أسطر على ورقة ودق جرساً أمامه فأقبل أحد الحجاب،

وسمعت لوسي الرئيس وهو يقول للحاجب: ابعث بهذه الرسالة في الحال!

وبعد يومين من هذه المقابلة وفد إلى دار الرياسة جندي شاب ومعه صبية صغيرة. كان الشاب «بني» وكانت الصبية أخته «لوسي» واستقبلهما الرئيس في غرفته الخاصة واحتفى بهما؛ وكان يلبس حلة عسكرية جديدة تزين كتفيها شارات الترقية التي رفعته إلى درجة ملازم وخاطبه الرئيس قال:

لقد عفوت عنك ورفعت درجتك يابني لأن الجندي الذي يحمل حقائب زميله المريض ويموت من أجل غيره دون أن يشكو أو يتبرم، يستحق تقدير الوطن

وعاد بني ولوسي إلى جرين مونتن، حيث استقبلتهما الجماهير الهاتفة في المحطة، وبسط مستر أوين يده لولده والدموع تنهمر من مآقيه على خديه وسمعه الناس وهو يهتف بحرارة: «لله الحمد!»

م . ص

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة